القدس

اذار ٢٠١٩ العدد ٣٥٣ مجلة شهرية تصدر عن إعلام حركة "فتح" / لبنان

د.اشتية:

أعاهدُ الله، والرئيس، وإخواني في "فتح"، وشعبنا البطل، وأسرانا وشهداءَنا وأبناء مخيّماتنا في الشتات أن أعمل بكلِّ جهد وإخلاص لرفعة فلسطين

#يوم_الأرض 30 أذار

نعرفُ أرضنا السليبة:

ثمارُها الحرية... وأنفاسُ الشهداء.

#بدنا-نعيش

في البدء

يقال بأن السلطة- أية سلطة- قد قامت على عقد اجتماعي ثابت، يتلخَّصُ دوره بضبط التناقضات الطبقية بين فئات المجتمع الواحد، وبالتالي قوننة العلاقة بين تلك الفئات مجتمعة بحيث تشكّل السلطة نقطة الربط والسيطرة.

لكننا أمام حكم حماس الملتبس بعمق، أمام إشكالية لا يمكن الإجابة عنها، كونها تربض في الوسط بين ادّعائين متناقضين: المقاومة والسلطة. أي أنها تفرض إرادتها على الشعب في غزّة باسم قدسيَّة المقاومة- كأن الشعب الفلسطيني بكل فئاته ليس مقاومًا، أو حديث العهد بالمقاومة- فيما الضريبة التي تفرضها على ذلك الشعب تتمّ باسم سلطة اغتصبت إرادة الموطنين، جاعلة منهم مجرَّد رهائن لخياراتها الراقصة في دائرة الاشكالية المذكورة أعلاه.

كأننا أمام نموذج فريد يحمل كلَّ مقوّمات المتاهة والغرابة، بحيث لا يستطيع المواطن محاسبتها نتيجة احترافها الهروب إلى الأمام. فهي أثقلت نفسها والمواطن بإحالة وضع الشعب الفلسطيني في غزة على آخرين مسؤولين عنه- أي السلطة الشرعية في الضفة- مضيفة عصاها الغليظة لقمع وتكسير عظام الصارخين "بدنا نعيش".

القدس

مجلة شهرية تصدر عن إعلام حركة "فتح"/
لبنان- العدد ٣٥٣ اذار ٢٠١٩

المراسلات
البريد الإلكتروني:
fateh.lebanon@hotmail.com
fateh.lebanon@gmail.com
الموقع على الإنترنت:
www.falestinona.com
الهاتف: 009613005401

الفهرس

الإفتتاحية

عمر أبو ليلى عنوان مرحلةٍ جديدة ص ٤

رئاسة

د.اشتية: سنعمل على تجسيد الدولة المستقلة، ذات السيادة، وعاصمتها القدس على حدود العام ١٩٦٧، وليستمر نضالنا من أجل الثوابت المتوَّجة بحقِّ العودة ص ٦

مقابلات

أحمد حلس: "فتح" لم تدعُ لحراك "بدنا نعيش" لكنَّها تدعم المطالب الشعبية ص٨

تحقيقات وتقارير

دفاعًا عن أهالي الشهداء والأسرى.. السُّلطة تخوض أشرس معارك الابتزاز المالي! ص١٠

الهجرة والهروب: قصصٌ يرويها الناجون من جحيم قطاع غزّة إلى جحيم أوروبا ص١٢

مؤسّسة الأشبال والفتوّة: توعية وطنيّة وثقافيّة وتربيّة بدنيّة ص١٨

الملف السياسي

السلطة المرتعبة في غزة أوهام موقتة ص٢٤

قصة هبّة "يوم الأرض" في فلسطين ص٣٠

عمر أبو ليلى
عنوان مرحلةٍ جديدة

ما قام به الشهيد عمر أبو ليلى من عمل بطولي مميَّز لم يكن عملاً إنفعالياً، أو ترجمة لحالة اليأس والاحباط السائدة في الوسط الفلسطيني، في ظل المعاناة القائمة والمتواصلة، وانما كانت عمليتُه الجريئةُ ردَّ فعلٍ صارم على ما يشهده بأم عينه يومياً من جرائم، ومجازر يمارسها الاحتلال الصهيوني. وردُّ الفعل الصارم على العنصرية الاسرائيلية لم يكن عفوياً، وانما كان انعكاساً واضحاً لما تراكم في أعماقه من أحقادٍ على هذا المحتل المغتصب للأرض، ومن مشاعرَ الغضب التي تحتاج إلى ترجمة دقيقة وواعية، لما يجول في الصدور وفي العقول.

إنَّ الانتهاكات الصهيونية اليومية في كل أنحاء الاراضي المحتلة، وعلى مدار الاربع والعشرين ساعة، شملت كافة مناحي الحياة تحت الاحتلال الكامل والشامل. والامر لم يتوقف عند المضايقات على الحواجز، واعتداءات المستوطنين على الاراضي، والبيوت، واحراقها بمن فيها كما حصل مع أسرة دوابشة، والاعتداء على المساجد والكنائس، وخطف الشبان واحراقهم ثم قتلهم، كما حصل في جريمة محمد أبو خضير من القدس، والذي أُعدم في قرية دير ياسين. ولكن علينا أن نتذكر أيضاً عمليات القتل الميدانية في الشوارع للشبان والفتيات، وتركهم ينزفون حتى الموت، وعدم السماح لسيارات الإسعاف بنقلهم قبل أن يفارقوا الحياة.

إضافة إلى ماذكر، فإنه وبشكل يومي يتم تدنيس المقدسات وخاصة في المسجد الأقصى، كما يتم العمل الجاد من أجل التقاسم الزماني والمكاني، كمرحلة أولى، بانتظار استكمال إجراءات الحفريات، والانفاق تحت الأقصى، من أجل تدمير المسجد الأقصى، وبناء الهيكل مكانه، وخاصة ما يجري من محاولات دائمة بإقفال مصلى باب الرحمة بوجه المصلين المسلمين، الذين يصرون على فتحه، ويصطدمون بجنود الاحتلال. والواضح أنَّ كلَّ أشكال العدوان اليومي الصهيوني انما تتم بدعم مطلق، وغطاء كامل من قبل الولايات المتحدة الأميركية، وتحديداً من الرئيس الصهيوني الاميركي ترامب، صاحب صفقة القرن المدمِّرة للحقوق الوطنية الفلسطينية، والهادفة إلى تمكين الكيان الصهيوني من تنفيذ الاحلام الصهيونية في المنطقة، بما في ذلك توسيع النفوذ السياسي، والأمني، والاقتصادي، والهيمنة على الوطن العربي، أي من الفرات إلى النيل.

إنطلاقاً مما ذكرنا، نريد أن نقرأ وبتعمُّق السلوكَ الوطني والثوري، والقناعات الإيمانية الراسخة، التي تتفاعلُ وبحرارة شبابية ملتهبة، تعرفُ أين تصبُّ جامَ غضبها المتراكم والمُختزن، عبر مسلسل الجرائم اليومية الصهيونية. وهذا المنطق الايماني والثوري، والوطني نجده عند مجموعة من الشباب، الذين استُشهدوا أو اعتقلوا، لأنهم تجرأوا على هيبة الكيان الصهيوني، واجراءاته الأمنية والعسكرية، ومرَّغوا بالتراب هيبة هذا الجيش الذي كان يقف مشدوها مذهولاً أمام مقاتلي شعبنا، وأمام جماهيرنا التي كانت تشتبك وتصطدم بالجيش الصهيوني المحتل.

لقد جاءت عملية الشهيد عمر أبو ليلى متزامنةً مع تحديات هائلة وجائرة سواء ما يحدث لشعبنا في قطاع غزة من الخارج، أو من الداخل، وأعني أنها رسالة واضحة مفادها أنَّ الشعب الفلسطيني لا يركع ولا يستسلم لإدارة المحتل، والرسالة الثانية أن هذا الشعب المعطاء وصاحب التاريخ النضالي العريق لا يمكن تدجينه، أوتطويعهُ لصالح أي جهة فلسطينية أو اقليمية، أو دولية، لأنَّ الدم الذي ينبض في عروقه، وينزف من شرايينه هو دم فلسطيني مُضمَّخ بطيب الايمان، ومعتَّق بحبر سجلات الشهداء، وهذا الدم ليس للبيع والتجارة، وانما هو لصناعة الامجاد، وحماية المقدسات، وتوثيق وصايا الشهداء.

إنَّ ما قام به الشهيد عمر أبو ليلى من عملية بطولية أقلقت وأقضَّت مضاجعَ أركان العدو الاسرائيلي، وقياداته السابقة، لأنهم عادوا بالذاكرة إلى بداية الكفاح المسلح، ونبشوا التاريخ للتعرف على هذا الاسم، وعلى جذور أصالته الوطنية، وتبيَّن لهم أن الشهيد الشاب عمر أبو ليلى تعودُ سلالتُه الفتحوية والوطنية إلى البطل الشهيد عمر أبو ليلى ابن جنين، الذي نفَّذ عملية تاريخية ثم اعُتقل، وتم نقله بسيارة عسكرية إلى المعتقل، ورغم أنه كان مكبّلاً بالقيود، لكنه حاول الاجهازَ على السائق الذي يقود السيارة العسكرية، لكنَّ السائق كان متنبِّها وسلاحه بين يديه، فسارع إلى إطلاق النار عليه واستشهد عمر أبو ليلى الفتحاوي الأصيل، لكنه وُلد كمقاتل فتحاوي من جديد بشخص هذا المقاتل الشاب ابن التاسعة عشرة سنة.

الشهيد عمر الثائر المتمِّيز نفَّذ عمليةً ملؤها الجرأة والتحدي، العملية بدأت على مفترق مستوطنة أرئيل الواسعة في مساحتها، والممتدة في أراضي الضفة الغربية، وكانت العملية قمةَ التحدي لعنفوان جيش العدوان الصهيوني. ما قام به الشهيد أيقظ الضمائر، وحرَّك المشاعر الانسانية الساكتة طوال سبعين عاماً على الصمت الدولي، والاستمرار في حماية الكيان الصهيوني المحتل لأرضنا.

إذا أردنا أن ندقق جيداً في خفايا ومضمون هذا العمل البطولي، وكيف تصرَّفت قيادة الاحتلال المسكونة بحالة من الرعب، علينا أن نراقب الخطة التي وضعتها قيادة الجيش الصهيوني، فهم وبسبب الرعب والخوف حاولوا تجنُّب أي صدام مباشر مع الفدائي المسكون بقلب أسد. فحشدوا الجيش، ووحدات الاحتياط، لإغراق المكان الذي يختبئ فيه بالقذائف، والقنابل، والرصاص، وهدم الغرفة فوق رأسه حتى لا يراهم، وحتى لا يشاهدوه.

والموقف الثاني الذي يستحق الاحترام، والاعجاب، والتقدير هو بداية تنفيذ العملية، فهو مصمم على ذلك حتى ينال شرف الشهادة، ولذلك هو حمل السكين لأنه لا يملك السلاح، و لكن كيف لو كان يحمل السلاح ؟ ماذا كان سيفعل ؟ لقد اقتحم الموقع العسكري المجاور للحاجز، وبسرعة البرق قام بطعن الجندي بالسكين، وامتشق منه السلاح، وبعد التأكد من مقتله، سارع إلى اقتحام مستوطنة أرئيل، وإطلاق الرصاص على عربات المستوطنين وهو يشعر بنشوة النصر.

والملاحظة الثالثة الجوهرية هي إصرار عمر أبو ليلى على مواصلة تنفيذ خطته المرسومة رغم الصعوبات والتعقيدات التي تواجهه، وانتقل من سلفيت المخنوقة بالاجراءات الامنية، ليصل إلى قرية عبوين قضاء رام الله، حتى يستطيع التزوُّد بما يحتاج في هذه المهمة المقدسة.

الاحتلال كان يتعقَّبه من مكان إلى آخر عبر الكاميرات المنتشرة بكثافة سواء في المدن، أو القرى، أو التلال، أو الأودية، إضافة إلى بعض الجواسيس، والذين يضعون أنفسهم بخدمة الاحتلال.

الظروف لم تسعف البطل عمر أبو ليلى لتحقيق ما تبقى من شهوته الوطنية في الاقتصاص من المجرمين الصهاينة .

الخلاصة التي نريد التوصُّلَ إليها وهي أنَّ ما نفذه عمر أبو ليلى، وغيره من الابطال في هذه المرحلة الأخيرة مثل صالح البرغوثي، وأشرف نعالوه، وأحمد مناصره، ورائد هاشم حمدان، وزياد عناد نوري، وقبلهم أحمد نصر جرار، وأحمد إسماعيل جرار..

أمثال هؤلاء يصنعون اليوم مرحلةً متطورةً وناضجة في مقاومة الاحتلال، وتهيئة الظروف للانتقال إلى مرحلة جديدة تشكل رداً ثورياً ووطنياً فاعلاً على الاعتداءات الصهيونية المتواصلة.

فلكل فعل ردٌّ فعلٍ مصنوع في هذه الثورة التي انطلقت في العام ١٩٦٥، ومازالت تشقُّ طريقها بعناد، ودون تردد، وشعبنا هو الذي يتمترس في الخندق الأمامي لحماية هذه الثورة ومنع تصفيتها .

الجدير ذكره اليوم أن أبواب المستقبل مفتوحة أمامَ كفاحنا الوطني، وعلى كل الأصعدة خاصة المقاومة بكل أشكالها، وبما يوجع الإحتلال، ويفرض عليه إعادة حساباته، وأن يتذكَّر بأن القوة العسكرية، والبطش، مهما كانت وحشيته لا تُلغي الحقوق المشروعة. ونحن نراهن على مجموعة قضايا جوهرية واقعية:

أولاً: نراهن على هذا الجيل الصاعد الممتلئ بالقوة، والايمان، والشجاعة، والمستعد للتضحية مهما كانت الظروف قاسية .

ثانياً: إنَّ ما شاهدناه ولمسناه من خلال العمليات الجريئة بأن العدو الاسرائيلي جبانٌ، ويرتجف عندما يرى الفدائي الفلسطيني، وليس مستعداً للمواجهة، وانما هو مستعدٌ للغدر، واستهداف المدنيين والأطفال.

ثالثاً: نحن نراهن على اتساع وكثافة المقاومة الشعبية، لأن الجرائم التي استهدفت أبناء شعبنا خاصة المدنيين شكلت عاملاً تحريضياً مؤثراً، والخيارات المستقبلية بدأت تتمركز حول خيار تصعيد مقاومة الاحتلال .

رابعاً: لم يعد خافياً بأنَّ اتفاق أوسلو الذي تجاهله الاحتلال، وقيادتنا اعتبرته أيضاً منتهياً منذ ١٩٩٩، وأنه من حق أي طرف من الطرفين أن يعلن عن فك العلاقة باتفاق أوسلو، والسلطة عبَّرت عدة مرات عن أنها مستعدة لاتخاذ إجراءات فك التعاقد، وإلغاء كل ما تم الاتفاق عليه بين الجانبين بما في ذلك الاعتراف المتبادل.

خامساً: لا شك أنَّ فك العلاقة باتفاق أوسلو يحتاج إلى موقف فلسطيني موحَّد، وخاصة ضرورةَ الوضوح في موقف حركة حماس من الاتفاقات الموقَّع عليها حول المصالحة، وأنَّ اصرار حركة حماس على موقفها في قطاع غزة سيؤدي إلى فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية، وتكريس صفقة القرن، وتضييع على الأقل ثلاثة وخمسين عاماً من عمر النضال الفلسطيني .

بصراحة: الكرة في ملعب قيادة حركة حماس، لأنَّ صفقة العصر يعتمد تنفيذها فلسطينياً على فصل القطاع عن الضفة، واقامة كيان فلسطيني في القطاع بعيداً عن الضفة، وتعترف به الولايات المتحدة واسرائيل، وبعض الدول الاقليمية المؤيدة لسياسة ترامب.

الوضع خطير، والقارب الوطني، وامكانيةُ النجاة تتوقف على أن يكون الصفُّ الفلسطيني وطنياً موحداً، في إطار منظمة التحرير الفلسطينية وإلاَّ فالخطر داهم.

الافتتاحية

بقلم: رفعت شناعة

د. اشتية:

سنعمل على تجسيد الدولة المستقلة، ذات السيادة، وعاصمتها القدس على حدود العام ١٩٦٧، وليستمر نضالنا من أجل الثوابت المتوَّجة بحقِّ العودة

شدَّد رئيس الحكومة الفلسطينية د.محمد اشتية على أنَّ حكومته ستعمل على استعادة الديمقراطية وتوسيع الحريات العامة، واحترام الإنسان وتعزيز الاقتصاد وإيجاد فرص عمل للشباب ومكافحة الفقر، مشيرًا إلى أنَّها عناصر "رافعة لإنجاز الاستقلال ودحر الاحتلال"، ومؤكِّدًا أنَّ تحقيق ذلك يستلزم إنهاء الانقسام، وعودة غزّة إلى الشرعية الفلسطينية، ورفع المعاناة عن أهلها.

وجاء ذلك في إطار ردِّه على تكليف فخامة رئيس دولة فلسطين محمود عبّاس له بتشكيل الحكومة الفلسطينية الجديدة في ٢٠١٩/٣/١٠.

وما يلي نص الردّ:

"بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الأخ الرئيس محمود عبّاس "أبو مازن" حفظه الله،

رئيس اللجنة التنفيذية لـ"م.ت.ف"

رئيس دولة فلسطين

رئيس حركة "فتح"

يُشرِّفني قبول تكليفكم لي رئيسًا لوزراء حكومتكم، التي نأمل أن ننجزها بالتشاور مع كلِّ مَن له علاقة، من فصائل، وقوى، وفعاليات وطنية، ومدنية، ومجتمعية، ومن ثُمَّ عرضها عليكم للإقرار والمصادقة.

ويُشرِّفني أن أقبل هذا التكليف، باسم حركة "فتح"، حامية مشروعنا الوطني، وصاحبة المبادرة والواقعية السياسية، والمدافعة عن القرار المستقل، ورائدة الوحدة الوطنية الفلسطينية، في إطار "م.ت.ف"، الممثِّل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

إنَّني مدرك تمامًا للظرف الذي نمرُّ به سياسيًّا، واقتصاديًّا، وماليًّا، وأعي الهجمة على صمودكم وعلى ثباتكم، ولكن يا سيادة الرئيس، لقد عبرتم منذ انطلاقة الثورة مع إخوانك الرئيس أبو عمّار، وأبو جهاد، وأبو إياد، وأبو السعيد، وأبو اللطف، وكمال عدوان، وعبدالفتاح حمود وغيرهم، ما هو أصعب ممَّا نحن فيه اليوم، وسنعبر من هنا بقيادتك الحكيمة.

لقد أنجزتُم يا سيادة الرئيس الكثير في مواجهة معركة الوجود، ومعركة التمثيل، ومعركة الاحتواء. وأنجزتُم الاعتراف بالمنظمة، التي عمَّدها أبو عمّار بكوفيّته، والاعتراف بالدولة التي عمَّدتَها أنتَ برفع عَلم فلسطين بين أعلام العالم على مدخل الأمم المتحدة.

وبتوجيه منكم، وإخواني في "فتح"، والفصائل الوطنيةً- شُركائنا في المنظمة- سنعمل على تجسيد الدولة المستقلة، ذات السيادة، وعاصمتها القدس بالحدود التي كانت عليها عام ١٩٦٧، وليستمر نضالنا من أجل الثوابت المتوَّجة بحقِّ العودة.

واليوم، أنتَ ومعك أهلنا في القدس، تخوض معركة حماية المدينة من التهويد، والحفاظ عليها فلسطينية عربية، ومفتوحة لعبادة الله.

وتخوض معركة حماية الرواية عن الأقصى والقدس، بتعزيز صمود أهلها المسلمين والمسيحيين على أرض مدينتهم المقدّسة.

إنَّ وحدة الأرض والشعب، والمؤسسة والنظام السياسي، والشرعية الواحدة، والقانون الواحد، ورفع المعاناة عن شعبنا من أجل دحر الاحتلال، هي أهم عناصر كتاب التكليف، الذي تسلَّمتُهُ منكم اليوم، وعلى طريق ذلك، فإنَّ استعادة الإشعاع الديمقراطي لشعبنا، وتوسيع الحريات العامة، واحترام الإنسان، وتعزيز اقتصادنا الوطني واستثماراتنا فيه، وخلق فرص عمل للشباب، ومكافحة الفقر، هي عناصر رافعة لإنجاز الاستقلال ودحر الاحتلال ومتطلَّبُهُ الرئيس إنهاء الانقسام، وعودة قطاع غزّة إلى إطار الشرعية الفلسطينية، ورفع المعاناة عن أهلنا هناك.

إنَّ التفافَ شعبنا حولكم يا سيادة الرئيس، وما تمثِّلونه من شرعية نضالية، وشعبية، وقانونية، هو تعزيز لموقفكم الرافض لصفقة القرن، وحماية للحق الثابت والتاريخي لشعبنا الفلسطيني.

إنَّني أقرأ في هذا التكليف حرصكم على تعزيز الثقة بيننا وبين أهلنا، وأن نعمل على خدمتهم، ليس من باب إسداء المعروف لهم، ولكن من باب الواجب علينا تجاههم، وأفهم من هذا التكليف أنَّه عليَّ وعلى الحكومة القادمة، أن نخدم الناس، وأن نرفع الظلم عنهم وأن نصون كرامتهم.

وأفهم منكَ، أنَّه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بالحُرّيّة، والكرامة، وعزّة النفس، وتحمُّل الآخر، والنقد البنّاء، والروح الإيجابية في التعاطي مع مشاكل الناس وهمومهم، وخاصّةً في قطاع غزّة والقدس والشتات.

د. اشتية: أعاهدُ الله، والرئيس، وإخواني في "فتح"، وشعبنا البطل، وأسرانا وشهداءَنا وأبناء مخيّماتنا في الشتات أن أعمل بكلِّ جهد وإخلاص لرفعة فلسطين

إنَّني بِرَدّي على كتاب التكليف، الصادر لي منكم، لأكون رئيسًا للوزراء، أعاهدُ الله، وأُعاهدُ سيادتكم، وأُعاهدُ إخواني في حركة "فتح"، وشعبنا البطل الصابر الصامد، وأُعاهدُ آلاف الأسرى في عتمة السجون، ودم الشهداء الذي أنبت حَنون فلسطين وأوجاع الجرحى، وأُعاهدُ أبناء المخيّمات في الوطن والمنافي، وأبناء شعبنا في الشتات، أن أعمل بكلِّ جهد وإخلاص لرفعة فلسطين بقيادتكم، فلسطين الوطن، فلسطين الشعب، فلسطين القضية، لتصبح بإذن الله حُرّة عامرة، ذات سيادة، وديمقراطية، ومفتوحة لأبنائها وأولادهم وأحفادهم.

فلسطين التي تُغنَّى فيها أغاني الحُريّة، والوحدة الوطنية الصادقة، ونُصرة المظلومين.

د. اشتية: بموجب تكليفي فإنَّ عليَّ وعلى الحكومة القادمة، أن نخدم الناس، وأن نرفع الظلم عنهم وأن نصون كرامتهم

اللهم أعنّا ولا تعِن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا.

واهدِنا، ويسِّر الهدى لنا، واجعلنا لكَ من الشاكرين.

أشكرك سيادة الرئيس على الثقة، وأشكر إخواني في "فتح"، وثِقْ أنَّني كنتُ وسأبقى عند حُسن ثقتكم،

وفَّقك الله، ونحنُ معك في خدمة شعبنا، وسنبقى على العهد كما عهدتنا حتى نصل إلى الحُرّيّة والاستقلال".

أحمد حلس:

"فتح" لم تدعُ لحراك "بدنا نعيش" لكنَّها تدعم المطالب الشعبية

شَهِدَت الساحة الفلسطينية على مدى شهر آذار المنصرم العديدَ من التطورات المهمّة والتحديات الخارجية والداخلية على حد سواء. فقد واصلت الإدارة الأمريكية إجراءاتها الرعناء، إذ رفعت حدة ضغوطاتها الممارسة على السلطة الوطنية لدفعها للقبول بصفقة القرن، ولم تتوانَ عن إعلان سيادة (إسرائيل) على أراضي الجولان السورية، مُمعنةً في انحيازها إلى جانب كيان الاحتلال. أما داخليًّا، ففيما كان الفلسطينيون يترقّبون بتطلُّع وأمل ما ستحمله الحكومة الجديدة برئاسة د.محمد اشتية من قرارات وإجراءات، أخذت الأوضاع تتأزّم في غزة، حيثُ جابت الشوارعَ مظاهراتٌ طالبت حكومة الأمر الواقع في القطاع بتخفيف الضغوطات الاقتصادية التي تمارسها على الناس، وهو ما ردَّت عليه "حماس" بقمع المتظاهرين واعتقالهم والاعتداء عليهم. وفي إطار بحث هذه القضايا وغيرها، أجرت مجلّة "القدس" الحوار التالي مع عضو اللجنة المركزية لحركة "فتح" أحمد حلس.

حوار: وسام خليفة

كيف تُقيِّم الأوضاع في غزّة اليوم؟

للأسف.. الأوضاع في غزّة تزداد سوءًا. إذ بالإضافة إلى العدوان الإسرائيلي المستمر والحصار الخانق على القطاع، فإنّ إجراءات "حماس" وقمعها للحُريّات يضاعف من معاناة الناس الذين اضطروا إلى رفع صوتهم في قضايا مطلبية، ولا أحد يمكنه أن يتجاهل المعاناة التي وصل إليها القطاع وأهله. ولكن بدلاً من تبنّي ودعم مطالب الشعب ذهبت "حماس" لأسلوب القمع المبالَغ فيه وانتهاك الحُريّات العامّة والخاصة والتعدي على حرمات البيوت الآمنة! وهذا أمر خطير لا يسهم بأي شكلٍ من الأشكال بمعالجة القضايا وإنّما يُفاقمها.

ما ردُّك على مَن يُقول إنَّ حركة "فتح" هي التي تقف وراء حراك "بدنا نعيش" وليس الشعب؟

هذا الحراك دعا إليه نشطاء شباب، ولم يكن لحركة "فتح" أيُّ دور في توجيهه أو قيادته، وتفاعل معه الشعب لأنَّه مسَّ قضايا حياته، وأبناء "فتح" كما سائر الشعب تفاعلوا مع الحراك باعتبارهم جزءًا من هذا المجتمع ويدعمون هذه المطالب الشعبية وليس لدوافع تنظيمية، ولكن سعي "حماس" لنسب هذا الحراك إلى حركة "فتح" هو محاولة مكشوفة لإكسابه صفة المناكفة

السياسية، غير أنَّ الحراك أثبت منذ البداية أنَّه بعيد عن القضايا السياسية الخلافية بين الفصائل الفلسطينية.

كيف تقرأ قرار ترامب بأنَّ الجولان السوري جزءٌ من دولة الاحتلال الإسرائيلي؟

هضبة الجولان هي أرض عربية احتلَّها العدو الإسرائيلي نتيجة عدوان العام ١٩٦٧، ولن يُغيِّر ترامب هذه الحقيقة بإقراره ضمَّ الجولان لـ(إسرائيل)، بل إنَّه بهذا القرار، والذي جاء بعد اعترافه بالقدس المحتلة عاصمةً لـ(إسرائيل) يؤكِّد مرة أخرى انحيازه الكامل لكيان الاحتلال، وعدم أهلية أمريكا للعب دور وسيط في الصراع العربي الإسرائيلي. كما يدلُّ قراره على استهتاره بالحقوق والمصالح العربية، وحتى عدم مراعاته لأصدقائه العرب الذين اكتفوا بالشجب من دون ترجمته إلى خطوات عمليّة تمس المصالح الأمريكية.

برأيك هل ستُؤثِّر أزمة السلطة المالية على المسار السياسي لها؟

الإجراءات الإسرائيلية والأمريكية المالية تُؤثِّر بشكل كبير على قدرة السلطة الفلسطينية على الوفاء بالتزاماتها، وهذا إذا ما استمرَّ يستدعي إعادة النظر في كثير من الاتفاقيات خاصّةً بعد تنصُّل أمريكا و(إسرائيل) من التزاماتهما وَفْقَ الاتفاقيات الموقَّعة، فلا معنى للالتزام الفلسطيني من طرف واحد ويجب دراسة كلِّ البدائل.

ما هي أهمّ التحديات أمام الحكومة الجديدة؟

التحدي الأهم هو تحديد المؤسّسات في شطرَي الوطن، وهذا لن يتحقَّق إلّا بإنهاء الانقسام، وتمكين الحكومة من ممارسة مهامها في غزّة مثل الضفة. أمَّا التحدي الآخر، فهو تنفيذ خطوات اقتصادية تخفِّف من الخنق المالي الذي تتعرَّض لهُ السلطة من قِبَل الاحتلال وأمريكا، وضرورة توفير شبكة أمان عربية ودولية.

ما هي توقّعاتك بالنسبة للانتخابات الإسرائيلية القادمة بحسب المؤشّرات الحالية؟

في السابق كانت الانتخابات الإسرائيلية تجري بين اليمين واليسار أو يسار الوسط، ولكن الآن التنافس بين اليمين واليسار يكاد ينتهي إذ لا توجد فوارق بين نتنياهو وبيني غانتس عندما يتعلّق الأمر بالموضوع الفلسطيني، ومع ذلك فإنَّ المؤشرات تُرجّح كفّة الليكود بقيادة نتنياهو، وهذا يعني قبولاً من المجتمع الإسرائيلي بسياساته العدوانية وتفويضًا له بالاستمرار في هذه السياسة.

هل هناك اتصالات جديدة مع القيادة الفلسطينية بخصوص صفقة القرن؟

لا توجد حتى الآن صيغة مكتوبة معروفة لصفقة القرن، ولكن هناك ممارسات أمريكية كُلُّها ترسم على الأرض ملامح هذه الصفقة بدءًا باعتراف ترامب الباطل بالقدس عاصمةً لـ(إسرائيل)، والموقف الأمريكي من قضية اللاجئين وإجراءاتها بخصوص "الأونروا"، مرورًا بالموقف من الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وكل هذه الممارسات وغيرها هي تنفيذ عملي لصفقة ترامب التي لم تُطرَح على القيادة الفلسطينية، علمًا أنَّ القيادة ترفض مجرَّد البحث في تفاصيلها لأنَّها تعني شيئاً واحدًا وهو إنهاء وطمس الحقوق الفلسطينية.

ما رأيك بموجة التطبيع العربي التي باتت مُعلَنةً مؤخَّرًا؟

الواقع العربي الحالي في ظلِّ انشغال كل قُطر عربي بهمومه وتحدّياته ومخاوفه الخاصة جعل الخطر الإسرائيلي يحتل مكانةً متأخّرةً في قائمة أولوياته، وفي بعض الأحيان يغيب، بل والأخطر من ذلك أن يرى البعض (إسرائيل) كشريك في مواجهة أخطار وهمية! ومن هنا ما لم تُصوَّب النظرة تجاه المصالح الحقيقية للأمة العربية المبنية على روابط تاريخية وجغرافية وثقافية في مواجهة مخاطر الأطماع الاستعمارية في أرض العرب وثرواتهم، فإنَّ خطر استمرار التطبيع سيبقى قائمًا.

أحمد حلس: الجولان أرض عربية سورية وقرار ترامب لا يُغيِّر من هذا الواقع شيئًا

أحمد حلس: إجراءات "حماس" وقمعها للحُريّات يضاعف من معاناة الناس الذين اضطروا إلى رفع صوتهم في قضايا مطلبية، ولا أحد يمكنه أن يتجاهل المعاناة التي وصل إليها القطاع وأهله

أحمد حلس: يجب إعادة النظر في كثير من الاتفاقيات خاصّةً بعد تنصُّل أمريكا و(إسرائيل) من التزاماتهما وَفْقَ الاتفاقيات الموقَّعة، فلا معنى للالتزام الفلسطيني من طرف واحد ويجب دراسة كلِّ البدائل.

أحمد حلس: حكومة د. اشتية أمامها تحدٍّ مهم في غزّة

لدفاعها عن أهالي الشهداء والأسرى..

السُّلطة تتعرض لأعنف الأزمات المالية

رفضُ السلطة الفلسطينية لصفقة القرن، واعتزالُها التعامل مع الإدارة الأمريكية بعد إجراءاتها المجحفة بحقِّ القضية والحقوق الفلسطينية، دفعَ الولايات المتحدة الأمريكية لقطع مساعداتها المالية عن السلطة، والتي كانت تذهب إلى قطاع الخدمات والبنية التحتية، ممَّا أدى إلى تأثُّر موازنة السلطة الفلسطينية بشدّة. وتفاقمت حدّة الأزمة المالية مع رفض السلطة الفلسطينية استلامَ أموال المقاصة منقوصة بحكم قرار الاحتلال الإسرائيلي اقتطاع قيمة مخصَّصات أهالي الأسرى والشهداء والجرحى منها، الأمر الذي كانت له تبعات اقتصادية وسياسية وشعبية متعدّدة.

يجب البحث عن بدائل مالية

بعد رفض السلطة الفلسطينية استلام مبلغ المقاصة منقوصًا قيمة مخصّصات أُسَر الأسرى والشهداء، تعذَّر على السلطة دفع رواتب الموظّفين الحكوميين، ما أوجَدَ حالةً من الإرباك والشلل في الأسواق الفلسطينية، وهو ما أدَّى بدوره لنشوء حالة من الحذر في التعامل المالي في السوق، بحسب حديث المحلِّل الاقتصادي د.هيثم دراغمة لمجلّة "القدس".

ويرى د.دراغمة أنَّ حل هذه الأزمة يكمن في بدء السلطة بالبحث عن بدائل مالية عبر عدّة وسائل، ويوضح: "على المستوى الدولي، يجب عقد قمّة عربية قريبًا يمكن للسلطة استغلالها سياسيًّا لحثِّ الدول العربية على تعزيز صمود المواطن الفلسطيني في ظلِّ كلِّ المؤامرات التي تحاك ضده بدءًا من الولايات المتحدة الأمريكية التي قطعت المساعدات، مرورًا بالدول الأوروبية التي تسير في ركب أمريكا بإيقاف المساعدات. كما على السلطة السعي للضغط على (إسرائيل) كي تعيد أموال المقاصة كاملةً، فهي أموال فلسطينية خالصة، ولا يجوز أن تقرصن دولة أموال دولة أخرى، وبالتالي علينا اللجوء إلى المؤسسات العالمية ومحكمة العدل الدولية وكل مؤسّسة تستطيع خِدمتنا في هذه القضية".

ويضيف: "أمَّا على الجبهة الداخلية، فيجب العمل من خلال سياسة إجراءات تقشُّفية على أعلى مستوى، كتقنين المصروفات غير الضرورية، ومن الممكن اللجوء لاقتراض الأموال من جهة معينة وسدادها عند الحصول على أموال المقاصة كاملة. كما أنَّ بإمكاننا تخفيف التبادل التجاري مع الاحتلال لخفض أموال المقاصة، وبذلك نؤثِّر على مردود الاحتلال من حصته في المقاصة، ولنتجه إلى تجارة مع محيطنا العربي، وهذا يتطلَّب تعديل اتفاق باريس الاقتصادي حتى نحظى بدائل أخرى لتفعيل الاقتصاد الفلسطيني".

أنس عنبتاوي: قطع أمريكا للدعم حركة مبتذلة هدفها إجبار السلطة الفلسطينية على التضحية بأحد المبادئ التي قامت عليها، وهو ما لن تقبله قيادتنا أو شعبنا

ويؤكِّد د.دراغمة ضرورة وجود لجنة طوارئ للتعاطي مع الأزمة موجِّهًا نداءً إلى رئيس الوزراء الفلسطيني د.محمد اشتية بتشكيل هذه اللجنة بحيث يكون عملها رديفًا للحكومة وعلى مدار العام لمعالجة الأزمة.

ويتابع: "هذه هي المرة الثامنة التي تحتجز فيها (إسرائيل) أموال المقاصة، ومن المفترض أن نكون قد تعلّمنا من المرات السابقة، وأعددنا خططًا مسبقة لمثل هذه الظروف، كي لا تكون المقاصة سيفًا مُسلَّطًا على رقابنا يُستخدَم في كلِّ مرة للضغط علينا من قِبَل (إسرائيل) وأمريكا".

ويتابع: "برأيي أداء الحكومة لن يتأثّر بالوضع المادي حاليًّا، وقد سمعت د.اشتية يتحدَّث عن إجراءات لترشيد النفقات وتعزيز المساعدات من جهات بديلة، وأنَّه سيُشكِّل حكومة قادرة على تجاوز هذه الأزمة".

وحول ما أُشيعَ عن كون الأزمة المالية مُفتعَلة من قِبَل السلطة، يقول: "هذا غير صحيح على الإطلاق، فـ٦٣٪ من إيرادات السلطة الفلسطينية تأتي

من المقاصة، و٧٠٪ من رواتب الموظفين تأتي من المقاصة، وهذا عجز واضح لمَن ينظر إلى الأرقام".

أمريكا فرضت علينا عقوبات بسبب صفقة لن تُولَد

لا يستبعد المحلِّل السياسي د.عبد المجيد سويلم أن تنتهي إشكالية الحصار المالي بعد نهاية الانتخابات الإسرائيلية وتشكيل الحكومة الإسرائيلية الجديدة، إذ يرى أنَّ هذا الإجراء الإسرائيلي مرتبط بالانتخابات.

ويُضيف: "إذا استمرَّت الأزمة يمكننا اللجوء إلى شبكة الأمان العربية أو الاقتراض حتى انتهاء الأزمة، ولكن لا توجد حلول نهائية لإشكالية الموازنة الفلسطينية. وبرأيي الحل المؤقت سيُنفَّذ خلال ثلاثة أشهر، وعلى السلطة تحديد أولويات موازنتها، وإعادة الحديث عن خطة اقتصادية جديدة، وأعتقدُ أنَّنا سنرى خطة لسياسة تنموية جديدة بعد تشكيل الحكومة الفلسطينية القادمة، ولكن علينا إدراك أنَّ الأزمة المالية التي تمرُّ بها السلطة الآن سببها موقفها الوطني الثابت وهو التمسُّك بحقوق أهالي الأسرى والشهداء، ونحن سندفع ثمنَ هذا الموقف من خلال إجراءات الاحتلال وأمريكا، ومع ذلك ستواصل السلطة دفع مستحقات أهالي الشهداء والأسرى والجرحى".

أمَّا عن مدى تأثُّر الوضع السياسي الفلسطيني بالأزمة المالية، فيقول د.سويلم: "لا أعتقدُ أنَّ البرنامج السياسي وخُطط التنمية التي تعتزم الحكومة تنفيذها ستتأثّر، فالأزمة المالية تؤثّر على الهوامش لا على متن العملية السياسية، وبرأيي ليس لصفقة القرن أي حظ في أن تُنفّذ، وكلُّ محاولات الحديث عن فرضها هي محاولات بائسة، لأنَّ قيادتنا وشعبنا يرفضانها، وحتى العرب لن يقبلوا بهذه الصفقة، ولن يتجاوزوها بالسهولة التي يتم الحديث عنها. كما أنَّ (إسرائيل) غير معنية بالصفقة فقد أخذت ما تريد قبل أن تصل الصفقة، وما يُقال عن أنَّ اقتصادها سيتطوّر بتطبيعها مع العرب مجرَّد تضخيم للواقع، وبالتالي صفقة القرن فشلت قبل أن تنطلق".

د.عبد المجيد سويلم: الأزمة المالية التي تمرُّ بها السلطة سببها موقفها الوطني الثابت بالتمسُّك بحقوق أهالي الأسرى والشهداء

على السلطة تشجيع جذب المستثمرين إلى فلسطين

كغيره من أصحاب الشركات والمصالح، يراقب أنس عنبتاوي، أحد أصحاب الشركات في مدينة البيرة، الوضع الاقتصادي من كثب، ويلفت في حديثه لـ"القدس" إلى أنَّ العديد من المؤسّسات العاملة مباشرة عبر المؤسسات الأمريكية توقّفت خدماتها ودعمها للمجتمع المحلي، ما نجم عنه تداعيات عديدة.

ويقول: "توقّفُ خدمات هذه المؤسسات ودعمها أدّى إلى تأثُّر المواطنين بانقطاع الدعم المتمثِّل في قطاع المياه والصحة، وقطاع تكنولوجيا المعلومات وغيرها، إضافةً إلى خسارة التجّار الجهات المانحة التي كانت تُنَفّذ من خلالهم مشاريع تعود عليهم بمداخيل. كما أدى إلى زيادة نسبة البطالة لأنّ عددًا كبيرًا من المواطنين كان يعمل من خلال برامج المساعدات الأمريكية (USAID)، وغيرها من المؤسّسات الأمريكية التي أغلقت أبوابها بسبب توقّف الدعم، وهذه العوامل تسبّبت في نقص في السيولة حيث أنَّ البنوك أيضًا أصبحت تتشدَّد في معاملاتها مع المواطنين والتجّار".

د.هيثم دراغمة: يجب عقد قمّة عربية قريبًا يمكن للسلطة استغلالها سياسيًّا لحثّ الدول العربية على تعزيز صمود المواطن الفلسطيني في ظلّ كلّ المؤامرات التي تحاك ضده

ويتابع: "الشعب الفلسطيني يتضامن في هذه الفترة مع القيادة والضغوطات التي تتعرّض إليها، ويحاول أن يتعاضد ويتحمَّل قليلاً، ولكن كتاجر أرى أنَّ القدرة الشرائية لدى المواطنين تأثّرت جدًّا، وقد شعرنا بذلك بشكل ملحوظ عبر قيمة العائدات. فمنذُ عام ٢٠١٨، فترة قطع المساعدات الأمريكية، وحتى العام ٢٠١٩ حين احتجز الاحتلال عائدات الضرائب، السوق الفلسطيني نائم، وفي حالة ترقُّب لما سيحدث في المستقبل، ومَن يملك قرشًا سيخبّئه في الوقت الحالي، فلا أحد يعلم متى ستنتهي الأزمة وكيف ستنتهي".

ويردف: "قطعُ الولايات المتحدة للدعم حركة مبتذلة الهدف منها إجبار السلطة الفلسطينية على التضحية بأحد المبادئ التي قامت عليها، وهذه الحركة لن يقبل بها الشعب الفلسطيني أو القيادة الفلسطينية بأي شكل من الأشكال، لأنّها وسيلة ابتزازية لإرضاء الجانب الإسرائيلي وزيادة الضغط على السلطة الفلسطينية".

ويختم عنبتاوي حديثه قائلاً: "برأيي على السلطة إيجاد مانح بديل خصوصًا في المرحلة الأولى لحين تمكّنها من حل المشكلات المالية، وعليها تشجيع المستثمرين الفلسطينيين في الخارج لضخ الأموال إلى الداخل، وهذا ما تفعله (إسرائيل)، ويجب أن نتعلَّم منهم هذا الأمر. كذلك، ينبغي للسلطة تهيئة القطاع الخاص، وتخفيف مخصصات القطاع العام أو إيجاد آلية لتعويض النقص الحاصل لديها لتغطيته".

الهجرة والهروب:

قصصٌ يرويها الناجون من جحيم قطاع غزّة إلى جحيم أوروبا

فتكت سنوات الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزّة منذ سيطرة حركة "حماس" عليه بأحلام وطموحات الشباب، فباتوا يعانون تآكل الآمال وتخاذل الأحلام. فما إن يُنهي الشاب دراسته الجامعية، حتى يصطدم بواقع البطالة التي تعدَّت نسبتها ٧٠٪ وفق آخر الإحصائيات الرسميّة، ممَّا يُجبره على العمل في مجالات مختلفة تمامًا عن مجالِ دراسته، أو على الجلوس بجوار آلاف الخرّيجين البائسين العاطلين من العمل.

تقرير: محمد الذهبي

ولم يجد الشباب الفلسطيني في قطاع غزّة مخرَجًا أمامهم من هذه الأزمة التي أجهضت أحلامهم وأقعدتهم عاجزين في ريعان عطائهم وثورة طاقتهم، سوى الهجرة إلى أوروبا وبعض الدول التي قد تستقبل الأيدي العاملة وحمَلَة الشهادات.

وأصبحت كلمات هجرة، طريق مفتوح، بحر، طيران، ترانزيت، تُجّار، مهرّبين، هي الأكثر تداولاً وبحثًا بين الشباب والعائلات في قطاع غزّة.

الهجرة الخيار الوحيد أمام انعدام الأمل وانغلاق الأفق

يقول الشاب "ح. خ" في حديث مع مجلّة "القدس": "بعد أن ضاقت بي السُّبُل في كل مكان حللتُ به بدءًا من قطاع غزّة الذي لم يعُد صالحًا لحلمي وطموحاتي وشغفي للحياة ولذتها، مرورًا بمصر وتركيا، هداني عقلي البائس إلى فكرة اللجوء إلى أرض الأحلام أوروبا".

ويضيف: "على مدار السنوات السابقة كنتُ أكتشف زيف كلِّ ما تعلّمته في المدرسة والمجتمع والعمل، حتى رسخت في عقلي حقيقتان لا ثالث لهما، بُنيَت عليهما رؤيتي للمستقبل. الحقيقة الأولى تتعلّق بكروية الأرض، أمّا الثانية فتتعلّق باعتقادي بأنّ أوروبا هي منبع الديمقراطية والإنسانية والحُرّيات الغائبة في شرقنا الأوسط. ومع وصولي إلى أوروبا زالت الحقيقة الثانية وانكشف الستار عن الوجه الحقيقي لأرض الأحلام منذ اللحظة الأولى، حين انتشلنا خفر السواحل اليونانية من غياهب البحر في ليلة مظلمة، في ظلِّ رفض مطلَق لأيّ تلاًمس بينهم وبيننا".

ويصف "ح. خ"، الذي يعمل في مجال الصحافة والأدب، لـ"القدس" معاناته فور الوصول إلى ساموس اليونانية، بقوله: "شعرتُ حينها بأنّني لستُ سوى حشرة قذرة في نظر مَن حللنا عليهم ضيوفًا، لتمتد المأساة بعد ذلك إلى معسكر الإيواء، الكائن في وسط أحد جبال جزيرة ساموس اليونانية المعزولة، حيثُ وقفنا أطفالاً ونساءً ورجالاً لمدة يوم كامل بملابسنا المُبلّلة بمياه البحر المالحة، وفي جوٍّ ماطر شديد البرودة، حتّى جاء الموظّفون وبدأوا بالإجراءات التي استمرّت نصف يوم أيضًا، قبل أن يُسلِّمونا خيمةً تُشبه تلك التي كنّا نجلبها لأطفالنا ليلعبوا بها، ويطلبوا إلينا أن نحتمي بداخلها من لسعات البرد التي جمَّدت أطرافنا. لا أعلمُ كيف قبلتُ أنا ورفاقي الأربعة بذلك، لكنَّ وقع الصدمة عقدَ ألسنتنا وعقولنا. وبعد إطلاق سراحنا اهتدينا إلى بعض الأشخاص داخل المعسكر، من أولئك الذين يقتاتون على مصائب القوم، واشترينا منهم خيمة صغيرة متينة بمبلغ ٢٥٠ يورو، فقد كان همّنا أن ننام ليس أكثر، ولم يعد المال ذا قيمة".

ويُكمل: "لم نتمكّن من الخروج في اليوم التالي لأنَّ جميع ملابسنا كانت مبللة، وحتى تلك التي في الحقائب بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة، فاضطررنا إلى

إشعال النار لتجفيف الملابس، لنبدأ رحلة أخرى هدفها الدخول إلى الحمام، ولكنّ الحمّامات داخل

"ع. م": الوصول إلى أوروبا باتَ الحلم والوعد المرتقَب للخلاص من نير حكم "حماس" في غزّة، ومن عشرات المآسي والأزمات المفروضة على فئة الشباب

ح. خ: بعد أن ضاقت بي السُّبُل في كل مكان حللتُ به، هداني عقلي البائس إلى فكرة اللجوء إلى أرض الأحلام أوروبا

"غ. ك": "العودة إلى قطاع غزّة ليست من ضمن خطتي القريبة أبدًا، فقد ذقنا الويلات هناك

المعسكر لم تكن تصلح لأيِّ استعمال، وإنَّما بعثت في ذاكرتي هيئة الزنازين والمعتقلات في بلاد الشرق، فتوجَّهنا إلى أحد المطاعم العربية على الجزيرة، لنتفاجأ بأنَّنا ممنوعون من دخول الحمام إلّا في حال تناولنا وجبات طعام تكبّدنا لقاء الواحدة منها مائة يورو! وبعدها بدأنا البحث عن مكان للاستحمام فملح البحر كاد يفتك بأجسادنا، لذلك قرّرنا استئجار منزلٍ يتضمّن المرافق الضرورية، لتبدأ مرحلة جديدة من الابتزاز من قِبَل قدماء العرب في الجزيرة، إذ بلغت كلفة استئجار منزل لثلاثة أشهر ألفَي يورو! ولاضطرارنا وافقنا على الاستئجار، فلم يكن أمامنا سوى هذا الخيار أو القبول بحياة الحيوانات البريّة داخل المُعسكر".

ويلفت" ح. خ" إلى اكتشافه أنَّ أول ما يجب أن يتعلَّمه اللاجئ هو الكذب، كأن يكذب بشأن حالته الصحية والنفسية، وبخصوص عمره وجنسيته وهويته الجنسيّة، طمعًا في تذليل العقبات ونيل بعض الامتيازات غير المتاحة للجميع.

ويختم حديثه بالتذكير بأنَّ مئات الشباب الفلسطينيين وعائلات بأكملها من قطاع غزّة، مثل عائلة "بكر"، غرقت في البحر أثناء التهريب، ما بين الإسكندرية وليبيا واليونان وإيطاليا، وحتى الآن لا يعرف أحدٌ مصيرها.

الهجرة بأي ثمن هربًا من المعاناة

"ع. م" شاب فلسطيني مُقيم في مصر، هاجر بحثًا عن حياة آمنة، وفرصة عمل تضمن له الاستقرار المعيشي. وحول أبرز العوائق التي واجهها في رحلته يقول: "الهجرة تتطلَّب مبلغًا كبيرًا من المال، إلى جانب كمٍّ المخاطرة الذي تتخلّله عملية التهريب من بلد إلى آخر".

ويُضيف لـ"القدس": "أنا مُقيم في جمهورية مصر العربية منذ أكثر من خمس سنوات، لأنَّها أكثر استقرارًا بالنسبة لي من قطاع غزّة، وفيها مقومات حياة أفضل نوعًا ما من غزّة".

أمَّا عن دوافعه للهجرة، فيقول: "دفعني تعرُّض منزلي في غزّة للقصف خلال عدوان ٢٠١٤م، وإصابتي سابقًا في عدوان ٢٠٠٨م وانقطاع راتب الجريح عني، بالإضافة إلى الأوضاع النفسية الكئيبة السائدة في غزّة، للإقدام على خطوة الهجرة، وأسعى حاليًا لاستكمال رحلتي نحو أوروبا، آملًا أن أجد حياة أفضل تلبي المتطلّبات الآدمية لأي إنسان من حقّه أن يعيش في بيئة آمنة".

ويردف: "رغم صعوبة الرحلة، وكونها محفوفةً بالمخاطر الجسيمة، فإنَّ الوصول إلى أوروبا باتَ الحلم والوعد المرتقَب للخلاص من نير حكم "حماس" في غزّة، والمفر الوحيد من عشرات المآسي والأزمات المفروضة على فئة الشباب، ولو عنى ذلك أن يحملوا أرواحهم على أكفهم في عرض البحر، وفي ظلمات الليل، وفي المطارات، وهُم على ثقة بأنَّ لحظةً واحدةً كفيلةٌ بأن تلقيهم في زنازين إحدى الدول التي يدخلونها بالتهريب من أجل الوصول إلى حافلة الحياة".

بينما يروي الشاب "غ. ك"، في حديثه لـ"القدس"، أنَّه غادر قطاع غزّة منذ ثلاث سنوات، بلا أي عمل أو مال، وحصل على وظيفة جيّدة إلى حد ما، استطاع من خلالها أن يلتحق ببرنامج الماجستير في إحدى الجامعات المصرية، وهو اليوم قد أنهى دراسته وينوي الرحيل إلى المملكة البلجيكية ليبدأ حياته هناك من نقطة الصفر.

ويوضح: "العودة إلى قطاع غزّة ليست من ضمن خطتي القريبة أبدًا، فقد ذقنا الويلات هناك.. لا عمل ولا فرص لاستكمال الدراسة، ولا مجال حتى للتنفُّس، فقد كنت أتلقّى مصروفي من والدي كطفلٍ صغير وكُلِّي خجل من ذلك، والآن أحلمُ بأن أعتمد على نفسي وأُعين أهلي على ظروف حياتهم القاسية في غزّة".

ومن الجدير بالذكر أنَّ مبالغ باهظة تتراوح ما بين ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ دولار أميركي لجواز السفر الواحد، تُدفَع على معبر رفح البري "المنفَذ الوحيد لقطاع غزّة"، بغية الحصول على تنسيقات من أجل إدراج أسماء المواطنين ضمن كشوفات السفر لدى داخلية "حماس" بغزّة.

ويستفيد من أموال التنسيقات على منفَذ رفح البري مُتنفِّذون من "حماس"، وهُم غير معروفين، حيثُ يجري التنسيق عبر وسطاء يكون لهم أيضًا نصيب من الكعكة.

وتبلغ تكلفة الرحلة من قطاع غزّة، مرورًا بتركيا، ووصولاً إلى اليونان، والتي تعتبر أكثر طرق الهجرة سهولة لا أقلّها خطرًا، نحو ٦٠٠٠دولار للشخص الواحد يقبضها تُجّار البشر والمهرّبون، في ظلِّ وضع اقتصادي خانق يعانيه سكان القطاع بعد أكثر من ١٢ سنة من سيطرة "حماس" على مرافق الحياة فيه، ما أدّى إلى هجرة مئات العائلات بأكملها.

وشَهِدَ قطاع غزّة في الآونة الأخيرة تدهورًا وانحدارًا كبيرًا في مستويات الدخل والحالة المعيشية العامة، رغم تدفق ملايين الدولارات إلى خزينة حكومة "حماس" من أجل إعانة الناس على ظروف حياتهم الخانقة، إلّا أنَّ فئات الفئات من هذه المبالغ، هو ما يحصل عليه المواطنون، فيما تذهب البقيَّة لزيادة أغنياء "حماس" غنى، وعامّة الشعب فقرًا وأسى.

اليوم العالمي للمرأة عامةً..
والفلسطينية خاصّةً

تزدحم الأجندة الفلسطينية في شهر آذار- مارس من كلِّ عام بالعديد من المناسبات الوطنية والإنسانية، بدايةً من يوم المرأة العالمي، ويوم المعلِّم، ويوم الأم، ويوم الطفل، مرورًا بعملية الطيران الشراعي وعملية الشهيدة دلال المغربي التي أعلنت فيها قيام الدولة الفلسطينية، ومعركة الكرامة التي أعادت الاعتبار للشعوب العربية بعد هزيمتها على يد الاحتلال الصهيوني عام ١٩٦٧، وانتهاءً بيوم الأرض في الثلاثين منه.

وكما كل عام تولي حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" اهتمامًا خاصًّا لهذا الشهر، تحديدًا فيما يتعلَّق بإحياء اليوم العالمي للمرأة عامةً وللفلسطينية خاصةً، فهذا الشهر هو شهر التعبير عن التقدير لدور المرأة التي ساهمت في نهضة شعبها وعائلتها، وتحرَّرت من براثن الاستغلال الاجتماعي، وهو شهر الاحتفال بالمرأة والأم الفلسطينية التي ساهمت وساندت ودعمت وشاركت في الثورة الفلسطينية منذ انطلاقتها وحتى يومنا هذا.

اليوم العالمي للمرأة

اليوم العالمي للمرأة هو اليوم الثامن من شهر آذار من كلِّ عام. يعدُّ هذا اليوم عيدًا للمرأة وتتويجًا لإنجازاتها في مجتمعها وحقوقها التي انتزعتها طوال العقود الماضية. ويعتبر هذا اليوم بمنزلة الفرصة لإسماع صوت المرأة المطالبة بحقوقها السياسية والاجتماعية والإنسانية.

تعود البدايات الأولى للاحتفال باليوم العالمي للمرأة إلى العام ١٨٥٧، عندما خرجت العديد من النساء في الولايات المتحدة الأمريكية إلى الشارع في مظاهرات للاحتجاج على ظروف عملهن القاسية. وكان أن استخدمت الشرطة الأميركية العنف لتفريق المتظاهرات، وعلى الرغم من نجاح الشرطة في ذلك الوقت في قمع المظاهرات فإنَّ النساء نجحن في جذب الأنظار إلى مطالبهن وبدأت نظرة المجتمع إليهن تتغيَّر. وفي الذكرى الثانية لقمع المظاهرات أسَّست النساء أوّل اتحاد نسائي عُمّالي هدفه الأول الدفاع عن حقوق النساء في أماكن عملهن.

وفي العام ١٩٠٨ عادت حركة الاحتجاجات بين النساء للتعبير عن رفضهن للظلم وعدم المساواة وحاجتهن إلى المشاركة الإيجابية في مجتمعاتهن. وشاركت في الاحتجاجات أكثر من ١٥،٠٠٠ امرأة جُبنَ شوارع نيويورك للمطالبة بخفض ساعات العمل، وتحسين أجورهن وحقهن بالمشاركة في الحياة السياسية.

ومنذ ذلك التاريخ تمَّ تكريس اليوم العالمي للمرأة الأميركية، وتبع ذلك في العام ١٩١٠ تكريس اليوم العالمي للمرأة الأوروبية، لتكر السبحة في العديد من دول العالم. وفي العام ١٩٧٧ أقرَّت الأمم المتحدة اليوم العالمي للمرأة في الثامن من آذار بعد تصويت أغلبية الدول المشاركة على القرار.

المرأة الفلسطينية

لم تكن المرأة الفلسطينية في منأى عن النضال والتضحية، فمنذ بدايات القرن الماضي أدَّت المرأة الفلسطينية دورًا تاريخيًّا وتطوَّر دورها في الدفاع عن حقوقها وحقوق شعبها، وكانت الانطلاقة مع ثورة البراق في العام ١٩٢٩ إذ عقدت نساء فلسطين أوّل مؤتمر نسائي فلسطيني وعربي وصل عدد المشاركات فيه إلى ٣٠٠ سيدة فلسطينية من مختلف أنحاء فلسطين. وبحث المؤتمر قضيّتَين أساسيّتَين هُما: الهجرة اليهودية إلى الأراضي الفلسطينية وتمليك الأراضي لليهود. ولم يقف حراك المرأة الفلسطينية عند هذا الحد إذ نظَّمت نساء المؤتمر احتجاجات على إساءة الشرطة معاملة السجناء العرب، وشكَّلن وفدًا زار المندوب السامي، وقدمن له عريضةً للمطالبة بإبطال مفاعيل وعد بلفور ومنع الهجرة اليهودية.

وخلال ثورة العام ١٩٣٦ برز الدور الأكبر للمرأة الفلسطينية ولم يقتصر عملها على إغاثة المنكوبين من أعمال البطش التي ارتكبتها قوات الانتداب البريطاني أو تنظيم الاحتجاجات وتوقيع العرائض، لكنها كانت العماد الذي قامت على أساسه ثورة العام ١٩٣٦، وساهمت في صنع أحداث الثورة واستمرارها من خلال تبرعها بحليها ونقودها لتمويل الثورة وإغاثة المنكوبين.

وفي العام ١٩٤٨، عام النكبة، كان جُلّ المهجّرين قسرًا من فلسطين من النساء، وقد أخذن على عاتقهن إعانة عوائلهن في ظل غياب الرجل الفلسطيني وتربية أولادهن على حُبِّ فلسطين واسترجاع الأرض. ومنذ ذلك اليوم شاركت المرأة الفلسطينية في الكفاح المسلَّح، فكانت إلى جانب الرجل في المعارك والنِّزالات التي خاضها الفدائيون لاسترجاع الأرض الفلسطينية. وللمفارقة، فإنّ أول مَن أعلن قيام الدولة الفلسطينية من داخل فلسطين كانت المرأة الفلسطينية ممثّلةً بالشهيدة دلال المغربي، وهي التي قال عنها الشاعر نزار قباني: "إنَّ دلال أقامت الجمهورية الفلسطينية ورفعت العَلم الفلسطيني، ليس المهم كم عمر هذه الجمهورية، المهم أنَّ العَلم الفلسطيني ارتفع في عمق الأرض المحتلة على طريق طوله ٩٥ كيلومترًا في الخط الرئيس في فلسطين".

تعرَّضت المرأة الفلسطينية إلى سلسلة من النكبات منذ بداية القرن الحالي ولم تسلَم من حالات القتل، والاعتقال، والإصابة، وهدم المنازل، والتشريد على يد محتل همجي متعطِّش للدماء

أول مَن أعلن قيام الدولة الفلسطينية من داخل فلسطين كانت المرأة الفلسطينية ممثّلةً بالشهيدة دلال المغربي

شاركت المرأة الفلسطينية في الكفاح المسلَّح، فكانت إلى جانب الرجل في المعارك والنِّزالات التي خاضها الفدائيون لاسترجاع الأرض الفلسطينية

المرأة الفلسطينية في العصر الحديث

تعرَّضت المرأة الفلسطينية إلى سلسلة من النكبات منذ بداية القرن الحالي ولم تسلَم من حالات القتل، والاعتقال، والإصابة، وهدم المنازل، والتشريد على يد محتل همجي متعطِّش للدماء. وتعزَّزت هذه الانتهاكات بحق المرأة الفلسطينية إبان انتفاضة الأقصى، وكانت أكثر المتضرّرين من الهجمة الصهيونية حتى بات من الصعب إيجاد امرأة فلسطينية لم تفقد ابنًا أو أخًا أو زوجًا.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعرَّضت المرأة الفلسطينية لأقصى حملات الاعتقال حتى غصّت المعتقلات الصهيونية بنساء فلسطين حيثُ تعرَّضن فيها لأبشع صنوف التعذيب. لكنّ المرأة الفلسطينية كانت على قدر الحمل، وواجهت السجّان الصهيوني بالإضرابات عن الطعام ولم ترضخ لإملاءاته.

ولا تزال المرأة الفلسطينية حتى يومنا هذا السند الأول والداعم للقضية الفلسطينية، ولعلَّ أبرز الأمثلة على ذلك هو موت الكبار وتمسُّك الصغار بقضيتهم، فأمهات فلسطين يرضعن أولادهن حُبَّ فلسطين منذ اليوم الأول لولادتهم.

أرقام وإحصاءات

تشير الإحصاءات إلى أنَّ القوات الصهيونية اعتقلت منذ العام ١٩٦٧ ما يقارب ١٥،٠٠٠ امرأة فلسطينية من أعمار وشرائح وفئات طبقية مختلفة. وبلغ عدد مَن اعتقلن منذ بداية انتفاضة الأقصى أكثر من ٨٠٠ امرأة فلسطينية غالبيتهن من الضفة الغربية. ولا يزال الاحتلال الصهيوني يحتفظ بجثامين شهيدات فلسطينيات في ما يُعرف بـ"مقابر الأرقام الجماعية" أو في "ثلّاجات الموتى"، ويرفض الإفراج عنهن، أو تسليم جثامينهن لعائلاتهن لدفنها في مقابر تليق بتضحياتهن.

بقلم: د.رامي عيشه

دلال المغربي.. الأسطورة التي لا تموت

"وصيَّتي لكم جميعًا أيُّها الإخوة حَملَة البنادق تبدأ بتجميد التناقضات الثانوية، وتصعيد التناقض الرئيس ضد العدو الصهيوني، وتوجيه البنادق كل البنادق نحو العدو الصهيوني، وأن استقلالية القرار الفلسطيني تحميه بنادق الثورة المستمرة".

كلماتٌ خالدة، لا يزالُ صَداها يتردَّدُ حتى يومنا هذا، هزّت كيان العدوِّ الإسرائيلي، قالتها دلال المغربي، ابنةُ العشرين ربيعًا، في وصيّتها، قبل أن ترتقي هي ورفاقها شهداء.

عملية كمال عدوان: من الفكرة إلى التنفيذ

في الحادي عشر من آذار عامَ ١٩٧٨نقشَ التاريخُ ولادةَ واحدة من أهمِّ العمليات البطولية، التي لا تزالُ تُذكَرُ كأحدِ عناوينِ الكفاحِ والمقاومةِ، إنَّها "عمليةُ كمال عدوان".

وقد عُرِفَت العمليةُ باسم هذا القائد الفتحاوي، ثأرًا لدمائه الطاهرة، حيثُ اغتيلَ عام ١٩٧٣ على أيدي مجموعة تسلَّلت إلى بيروت، برئاسة وزير دفاع الاحتلال آنذاك، إيهود باراك.

وبعدَ استشهاد عدوان ورفيقَيه كمال ناصر وأبو يوسف النجّار، أعطى القائد الشهيد أبو جهاد الوزير الضوء الأخضر لردٍّ مُدَوٍّ، فشكّلَ مجموعةً من المقاتلين الأكْفَاء من أجلِ عمليةٍ خاصّة، ووقعَ الاختيارُ على مجموعة من الرجال وامرأة واحدة هي "دلال المغربي"، التي ترأَّسَت المجموعة.

بدأت مرحلة التدريب البحرية والنارية، وغيرها من التدريباتِ الشاملةِ للمجموعة، على مدى فترة طويلة.

وفي عام ١٩٧٨، اتّشَحَت الثورة الفلسطينية بالأسود بعد تعرُّضها لضربات إسرائيلية عديدة تزامنًا مع تعرُّض المخيَّمات لمذابح عدّة، ارتُكِبَت بحقِّ أبناء شعبنا، وكان التصريح الشهير آنذاك لمستشار الأمن القوميّ الأمريكيّ "زبيجينيو بريجينسكي"، والذي قال فيه: "وداعًا منظمة التحرير".

عندها دقَّت ساعة الصِّفر لتنفيذ عملية عسكرية لضرب (إسرائيل) في قلب عاصمتها المزعومة، فكانت عمليةُ كمال عدوان، التي نفَّذتها "مجموعة دير ياسين".

تفاصيل العملية

أشرف القائد الشهيد أبو جهاد الوزير على العملية البطولية، والتي انتقلت من شاطئ الجنوب اللبنانيّ وصولاً إلى يافا، وكانت مهمّتها السيطرة على حافلة عسكرية، ثُمَّ التوجُّه إلى تل أبيب لمهاجمة مبنى الكنيست.

قادت العملية الشهيدة دلال المغربي رئيسةً للمجموعة برفقة عشرة فدائيين، وفاجأت هي ورفاقها العدو الإسرائيليّ مُخيِّبةً كلَّ توقُّعاته، فنجحت في الإنزال،

وأقامت نقطة تفتيش على الشارع الرئيس، وبالتالي تمكّنت من النجاح في مهمّتها، وسيطرت هي ومجموعتها على أحد الباصات، وتوجّهوا به إلى تل أبيب.

أخرجت دلال عَلَم فلسطين من حقيبتها ورفَعتهُ على مقدّمة الحافلة، وعندما اعترضتهم قوّات إسرائيلية بقيادة مجرم الحرب إيهود براك وواجهتهُم، اضْطُرَّت المجموعة الفدائية إلى تفجير الحافلة بمَن فيها، فأوقعوا نحو ٣٠ قتيلاً وأكثر من ٨٠ جريحًا، بحسب المعطيات التي أعلنتها قوات الاحتلال، واستُشهدت دلال وعددٌ من رفاقها آنذاك، غير أنَّ جثمان دلال لا يزال حتى اليوم مُحتجَزًا في مقابر الأرقام.

"دلال أقامت الجمهورية الفلسطينية ورفعَت العَلَمَ الفلسطينيّ، ليس المهمُّ كم عمرُ هذه الجمهورية، المهمُّ أنَّ العَلَمَ الفلسطينيَّ ارتفع في عمق الأرض المحتلة على طريق طوله ٩٥ كيلومترًا في الخط الرئيس في فلسطين"، هذا ما كتبَهُ الشاعر نزار قباني عن دلال التي دافعت عن حقوق شعب منكوب مؤكّدةً أنَّ الشهادة حُرية، وأنَّ الحقَّ لا يموتُ طالما وراءَهُ مُطالِب.

دلال في سطور

هي ابنةُ مدينة حيفا، ولكنّها وُلِدَت في مخيّمات العاصمة اللبنانية بيروت عام ١٩٥٩، إذ كانت عائلتُها قد لجأت إلى لبنان بعد النكبة.

دفعها حِسُّها الوطنيّ والثوريّ للمشاركة في عدد من الثورات العسكرية، وتلقَّت التدريب على خوض الحروب، كما تطوَّعت في صفوف جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني.

كانت تربط دلال بوالدها علاقةٌ متينة، علاقةٌ شجَّعَتها على الإفصاح لهُ عن أنَّها تخدم في الوحدة الخاصة المشرف عليها الشهيد خليل الوزير آنذاك، فلم يعترض، وقبل استشهادها كتبت لَهُ هذه الكلمات.

"أبي ما أصعب الكتابة عنك وإليك، وهبتَني العطاء والتضحية والإخلاص، فكنتُ كفئًا لذلك، لن أكتب لك أكثر.

وبالنسبة لأُمّي لم أكتب عنها شيئًا، لأنَّني إذا كتبتُ فمعنوياتي ستتحطَّم.

حضرتُ إلى البيت يوم الخميس صباحًا، وكان نزولي لأراكَ ولكن كان حظي زفت، لم أودعك ولم أرَكَ يا أبي، ولكن تأكّد مهما غبت، تأكّد بأنّني موجودة معك وأعيش معكم.

لا تذرف دمعًا كثيرًا فقد صرتُ بنتًا للبلاد".

تقرير: فاطمة المجذوب

مسيرات العودة الكبرى..

فصلٌ من فصول النضال الفلسطيني

منذُ نحو عامٍ تقريبًا، وتحديدًا في يوم الأرض، انطلقت أُولى مسيرات العودة السِّلمية، مرسِّخةً صورةَ الشعب الفلسطيني المُدافع عن قضيته والمتمسِّك بأرضه.

ولكن ثمّة مَن يعتبر أنَّ طريقَ القدس يمرُّ عبر فوّهةِ البندقية فقط، متناسين بذلك المقاومة الشعبية السلمية وشهداءها والإنجازات التي حقّقتها، سواء في القدس أو الضفة أو تلك التي تتّصفُ بها مسيراتُ العودة في غزّة، الأمرُ الذي أدّى إلى ضعفِ إيمانٍ لدى فئة من شعبنا بنجاعة هذا الحراك.

تلك الفئةُ لم تعِ بعد أنَّ أحد أهداف مسيرات العودة هو حشد الرأي العام الدولي، ولفتُ نظرِ كلّ إنسانٍ حُرٍّ إلى معاناة الفلسطينيين عمومًا، وفي قطاعِ غزّة خصوصًا، جرّاء عنجهيةِ الاحتلال وجرائمه بحقِّ الشيب والشباب والأطفال، واستشهاد المسعفة رزان النجّار خير دليل على ذلك.

ولم تعِ أيضًا بأنَّ القضيةَ لا تحتاج إلى رصاصة مُلتهبة فقط، بل إلى مقاومةِ الإنسان الفلسطيني الحكيم الذي يعلمُ جيّدًا كيف يقاومُ على طريقتِه في الوقتِ والمكانِ المناسبَين.

ومن ثمار المقاومة الشعبية وتلك المسيرات، تحقيقُ اللجنة التي شكَّلَها مجلسُ حقوق الإنسان في الأمم المتحدة في الانتهاكات الإسرائيلية منذ بداية مسيرات العودة وحتى نهاية السنة الماضية.

وأوردت اللجنةُ في آخرِ تحقيقٍ لها أنَّ العدو الإسرائيلي ارتكب جرائمَ ضدَّ الإنسانية في ردِّه على مسيرات العودة، فأطلق قنّاصتُهُ النارَ عمدًا على المدنيين، ومن بينِهم أطفال وصحافيون ومعوّقون، وأحدثوا إصابات مستديمةً في أجسادهم، تراوحت بين البتر والندوب، رغمَ أنّهم لم يُشكِّلوا خطرًا عليها.

وأضاف التقريرُ أنَّ اللجنةَ لديها معلومات سِرّية بشأن من يُعتقَد أنَّهم المسؤولون عن القتل، وبينهم قنّاصةٌ وقادةٌ عسكريون، وستُقدِّمُها إلى المفوّضة السّامية للأمم المتحدة لحقوقِ الإنسان ميشيل باشليه، كي تُحيلها إلى المحكمة الجنائية الدولية.

> **مسيراتُ العودة الكبرى هي واحدةٌ من فصول النضال الفلسطيني، ووجهٌ من ملاحم المقاومة، لن تمرَّ كما السُّحب بل سيُخلِّدُها التاريخ**

وفي الوقت الذي تسعى فيه (إسرائيل) جاهدةً لتنفيذ التهدئة، وكذلك الضغط على القيادة الوطنية باتجاه قبول صفقة القرن، يأتي هذا التقريرُ ليشُدَّ أواصر الرواية الفلسطينية المُحقّة ويدعمها، وينفي حبكة الادّعاءات الإسرائيلية الكاذبة، ما من شأنه توسيع الفجوة بين الجانبَين، خاصّةً أنّه صادرٌ عن لجنة شرعية.

من جهتها، رحَّبت الرئاسة الفلسطينية بهذا التقرير، وأعلنَت في بيانٍ لها بأنَّ المطلوبَ الآن من المحكمة الجنائية الدولية، التحرُّك الفوري لفتح تحقيقٍ في هذه الجرائم المرتكَبة، وقد آن الأوان لمحاسبة (إسرائيل) على هذه الجرائم، وألّا تبقى دولةً فوق القانون.

يُذكَرُ أنَّ الجيش الإسرائيلي يواجهُ مسيرات العودة في قطاع غزّة منذ انطلاقتها بالعنف المفرط رغم سلميَّتها وتضاؤل أعداد المحتجّين، فأعدادُ الجرحى في تزايدٍ مستمر لا سيما مع استمرار المسيرات، ما أدَّى لنشوء أزمة جديدة ومعاناة تُضاف إلى الحصار الذي يُعدُّ أكبرَ كارثةٍ إنسانية في القطاع.

مسيراتُ العودة الكبرى هي واحدةٌ من فصول النضال الفلسطيني، ووجهٌ من ملاحم المقاومة، لن تمرَّ كما السُّحب بل سيُخلِّدُها التاريخ، تاريخُ الشعوب المناضلة المطالبة بالحُرّيّة والمناهضة للاحتلال الجاثم فوق أرضنا، وليس تاريخ الهزائم والخنوع.

وتبقى العينُ شاخصةً، ترتقب المسيرة المليونية المرتقَبة في الثلاثين من آذار، الذكرى السنوية الأولى لمسيرات العودة، فهل ستمتنع (إسرائيل) عن إطلاقِ النار، وتلتزمُ بما ورد في تقرير الأمم المتحدة، أم ستبقى فرعونًا طاغيًا مُستبدًّا؟

مهما تعدَّدت الخيارات يبقى المؤكَّد أنَّ أقدامَ الغزاويين لن تُرشدَهم إلّا للحدود.

تقرير: نادرة سرحان

مؤسّسة الأشبال والفتوّة:

توعية وطنيّة وثقافيّة وتربيّة بدنيّة

تُعَدُّ مؤسّسة الأشبال والفتوّة من أهمّ روافد الثورة الفلسطينية لدورها الفعّال في رعاية أجيالٍ من الفتيان والفتيات، وغرس القيَم الإنسانية وحُبَّ الوطن والقضية في نفوسهم. وتُشكِّلُ المؤسسة إحدى أهمّ القواعد لحركة "فتح"، فقد خرَّجت مئات القادة العظماء في شتّى مجالات العمل الثوري الفلسطيني، ومنهم شهداء عبَّدوا بدمائهم طريق التحرير، ورسّخوا حضور القضية الفلسطينية، كالقائد الشهيد صلاح خلف "أبو إياد". ومؤسَّسة الأشبال والفتوّة ليست حديثة العهد أو النشأة، بل هي فكرة بدأت من خلال الحركة الكشفية الفلسطينية التي أُنشئَت في العام ١٩١٢، ثُمَّ أخذَ حضورها يتّسع في الداخل الفلسطيني، امتدادًا إلى الشتات، ولا سيما في الساحة اللبنانية، التي تنتشر في مخيّماتها معسكرات الأشبال والزهرات، ومن بينها معسكر مخيَّم البرج الشمالي في منطقة صور جنوبي لبنان.

تقرير: ليليان سلوم

عماد صلاح: نعملُ على غرس الفكرة الوطنية في نفوس الأجيال

يضمُّ معسكر الفتوّة والأشبال والزهرات في مخيّم البرج الشمالي عددًا كبيرًا من الأشبال والزهرات الذين يتوزّعون على مجموعات، بحسب حديث مسؤول المعسكر عماد محمد صلاح.

وحول ذلك يقول: "تضمُّ مجموعة الفتوّة الأشبال ما فوق ١١ عامًا، وهناك مجموعة الزهرات وهي خاصّة بالفتيات، أمَّا مجموعة الأشبال فتضمُّ المنتسبين ما بين ٤ سنوات و١١ سنة، كما توجد في المعسكر فرقة موسيقية تتألّف من الزهرات اللواتي يعزفن نحو ٢٤ معزوفة، ويجري تدريبهن على مختلف الآلات الموسيقية".

ويتابع صلاح: "ما ترعرعنا عليه ونحاول أن نستمر فيه هو غرس الفكرة الوطنية وبذور الانتماء في نفوس الأجيال، لكي يكبروا وتكبر هذه الأفكار معهم، ويبقى الوطن والقضية حاضرين دائمًا في أذهانهم".

ويضيف: "يكتسب المنتسبون إلى المعسكر الكثير من المعارف والمهارات المتعلّقة بالحياة العسكرية للجندي، ونحرص على أن يُتقنوها باحتراف، إضافةً إلى التدريبات البدنية ومنها تمارين الجري، والمشاة، والسقطات الهوائية وتأدية عروض قتالية ثُنائية كالطعنات والاشتباك بالعصي، وبذلك تنمو لدى الأشبال والزهرات القوّة واللياقة البدنية والصلابة للدفاع عن أنفسهم في أيّ موقف، وهو ما يُهيِّئهم بطبيعة الحال للدفاع عن أنفسهم ضد العدو. وفي الوقت ذاته، فإنَّنا لا ننسى أيضًا بأنَّهم أطفال، ومن حقِّهم اللعب والمرح، لذلك نُنظِّم كلَّ فترة رحلات ترفيهية وتعليميّة إلى المناطق الأثرية لنبني ونُعزِّز الثقافة العِلمية لدى الأشبال والزهرات، بالإضافة إلى حلقات اللعب والتسلية داخل المعسكر للترفيه والترويح عن نفوسهم بين الحين والآخر".

محمد صالح: البزّة العسكرية دفعتني للالتحاق بالمؤسّسة

الانضباط، المسؤولية، البزّة العسكرية، وحياة الجندي جميعها عوامل أدَّت دورًا أساسيًّا في انخراط الشبل محمد ناجي صالح في مؤسسة الأشبال والفتوّة.

فمحمد البالغ من العمر ١٣ عامًا، من مخيَّم البرج الشمالي، كان يرى الفتية والأطفال أترابه يرتدون البزّات العسكرية متجّهين إلى المعسكر بروح رياضية وعزم وقوة، ويستمع إليهم وهُم يحدّثونه عمَّا تعلّموه من حركات دفاعية وقتالية، وعن رحلاتهم ونشاطاتهم، وشعورهم الذي أخذ يتنامى تجاه الوطن، وفي هذا السياق يقول: "قلتُ في نفسي لماذا لا أكون أنا أيضًا فردًا منهم؟ وبالفعل هذا ما حدث. فقد التحقتُ بالمؤسسة عن عمر أربع سنوات تقريبًا، وكان لي صديق يساعدني في جميع الأنشطة، ويُدرّبني على ما يعرفه من صرخات كشفية، وحركات دفاعية، وعزف على الآلات الموسيقية".

فاطمة مصطفى: بعد الانخراط في مؤسّسة الأشبال أصبحتُ أكثر شعورًا بحسِّ المسؤولية، وبدأتُ أشعرُ بمعنى وقيمة مضافة في حياتي

عماد صلاح: ما ترعرعنا عليه ونحاول أن نستمر فيه هو غرس الفكرة الوطنية وبذور الانتماء في نفوس الأجيال

فاطمة مصطفى: مؤسّسة الأشبال والفتوّة أضافت قيمةً لحياتي

تقول الزهرة فاطمة محمد مصطفى ابنة قرية الزوق في قضاء صفد، البالغة من العمر ١٢ عامًا، في حديثها عن تجربتها بالانضمام إلى مؤسسة الأشبال والفتوة: "التحقتُ بمؤسّسة الأشبال والفتوّة في العام ٢٠١٥، وكانت حياتي قبل ذلك تقتصر على الذهاب إلى المدرسة والعودة منها، وفي أوقات الفراغ كنتُ ألعب قليلاً مع رفاقي في الحي، لذا كنتُ أشعر بأنّني أفتقدُ شيئًا في حياتي، ولكن بعد الانخراط في المؤسسة أصبحتُ أكثر شعورًا بحسِّ المسؤولية، وبدأتُ أشعرُ بمعنى وقيمة مضافة في حياتي".

وتضيف فاطمة: "لم أواجه أيّة مشكلة في المعسكر لكوني فتاة، وإنّما تعلّمت الكثير، وما زلت أتعلّم أيضًا، ولن يوقفني شيء، فأنا الآن أستطيع الدفاع عن نفسي إن تعرّض لي أحدٌ ما من دون أي مساعدة، وأيضًا أصبحت أنتبه أكثر لما أقوله أو أفعله من تصرّفات طائشة، وبالتالي أصبحت أكثر نضجًا ووعيًا وانضباطًا".

وتتابع: "كما أنّني تعلّمتُ العزف على الآلات الموسيقية، وأصبحتُ مسؤولة الفرقة الموسيقية للزهرات، وأتقنتُ العديد من المعزوفات مثل النشيدَين الوطنيَّين الفلسطيني واللبناني، ونشيد حركة "فتح"، والكرنفال، والأشبال، وطلع البدر علينا، وغيرها".

مروان حسين: تربّينا على حُبّ القضية في المعسكر

عند إصغائك لحديث الشبل مروان إسماعيل حسين ذي الاثني عشر ربيعًا تشعر بروح الجندي وبالانتماء الوطني وبشغفه الكبير بالانتساب إلى صرح مؤسسة الأشبال، حيثُ يقول: "أجمل الأوقات هي التي أقضيها في المعسكرات التي تقام في البرية، إذ تتاح لي الفرصة عند توزيعنا لمجموعات بأنَّ أكون مسؤولاً عن إحدى الفرق أو ما يُسمّى بـ"الطليعة"، ممَّا يخوّلني أن أكون قائدًا مساويًا لمَن هُم أكبر مني سنًّا أحيانًا، وهذا ما يشعرني بالثقة والإحساس بالمسؤولية والالتزام".

مروان حسين: الانتساب لمؤسسة الأشبال والفتوّة هو أسلوب حياة يقوم على التربية الوطنية والبدنية والتثقيف المعرفي

وحول تجربته في المؤسسة يقول حسين: "الانتساب لمؤسسة الأشبال والفتوّة هو أسلوب حياة يقوم على التربية الوطنية والبدنية والتثقيف المعرفي، ومن خلال ذلك اكتسبت قِيَمًا ومهارات لم أتعلّمها في المدرسة كحسّ المسؤولية، والاعتماد على النفس، والانضباط، والعمل الجماعي، والإصغاء الجيّد للآخر، والقيام بالواجب نحو الله والوطن والناس، وهي كلّها بذور تغرسها المؤسسة في نفوس المنتسبين إليها لكي يصبحوا أشخاصًا على قدرٍ عالٍ من المسؤولية، وأعضاء فعّالين في المجتمع، وليكونوا ذخرًا للوطن".

في يومهن العالمي..

الفلسطينيات يُطالبن بإنصافهنّ مكانةً وحقوقًا بما يرقى لعطاءاتهنّ في مسيرة الحُرّيّة والاستقلال والإنماء المجتمعي

في الثامن من آذار "يوم المرأة العالمي" تزدحم الأجواء بالإشادة بتضحيات المرأة عمومًا، والفلسطينيات بشكل خاص، وعلى أكثر من مستوى وصعيد رسمي وفصائلي وشعبي، لكنَّها لا ترقى إلى مستوى عطاء وتضحيات الفلسطينيات في الكفاح الوطني والإنماء المجتمعي، وحقوقهن المستحقَّة. وبمناسبة "يوم المرأة العالمي"، تفتح مجلّة "القدس" صفحاتها لتنقل مواقف وتطلُّعات الفلسطينيات في مخيَّمات اللجوء في لبنان.

تحقيق: وليد درباس

المرأة الفلسطينية عماد الوطن والركن الأساسي للعائلة

ترى عضو قيادة حركة "فتح" – إقليم لبنان أمينة سر مكتب المرأة الحركي زهرة ربيع برمزيّة يوم المرأة العالمي "مناسبةً للنضال لا للاحتفال"، وتصف الفلسطينية بـ"الركن الأساسي للعائلة وعماد الوطن"، منوِّهةً بما تحمَّلته المرأة من تَبِعات مضاعفة للنكبة، وخاصّةً في مخيَّمات لبنان.

وتضيف: "قدَّمت الفلسطينيات التمسُّك بحقِّ العودة، والحفاظ على الذاكرة والهُويّة الوطنية، والمشاركة في معركة الحُريّة والاستقلال على ما دونها من قضايا حقوقية ومطلبية نسوية. ومن هُنا انخرطن في الثورة، ونقلن السلاح وأخفينه وقت اللزوم، كما قاتلن وتعرَّضن للأسر، وسقطن جريحات وشهيدات بالعشرات".

وبهذا السياق، تُحَيّي ربيع الأسرى والأسيرات وعوائل الشهداء والمناضلة الأُممية الشهيدة ريتشيل كوري التي قضت في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، والمرأة المقدسيّة المرابطة دفاعًا عن القدس والمقدَّسات، وتُثمّن عاليًا دور الأخوات الفاعل في مكتب المرأة الحركي واتحاد المرأة، ومشاركتهن بزخم في المناسبات والفعاليات المطلبية والوطنية في مخيَّمات لبنان.

وتُضيف: "انحازت الفلسطينيات إلى جانب الوحدة الوطنية، ونددن بحالات الانقسام الفلسطيني، وتظاهرن في وجه أشكال التطاول على المخيّمات كافّةً، وحيثُ اقتضى الواجب ساهمن في مخيّمات اللجوء بأعمال الإغاثة وإسعاف الجرحى وعيادتهم في المستشفيات، وعملن في المؤسسات الأهلية بهدف التنمية المجتمعية، وحيث توفَّرت فرصة عمل سعيًا لتوفير قوت عائلتهن وحمايتها من العوز".

من ناحية أخرى، تُؤكِّد ربيع أنَّ الفلسطينيات كنّ أقل فرصةً في الحصول على المكانة والحقوق التي ترقى لعظيم دورهن بسبب الموروثات والتقاليد وغلبة السّمة الذكورية في المجتمع، لافتةً إلى أنَّ المنضويات في أُطُر الفصائل لم يكنَّ بمنأى عن ذلك أيضًا، ومُعلِّقةً: "إنَّ مواقف الإشادة بدور الفلسطينيات لا ترتق لتضحياتهن إذا لم تقترن بنيلهن استحقاقاتهن في الرتبة والراتب أسوةً بأقرانهن من الرجال".

وتختم بالقول: "المرأة بفعل كفاحها فرضت نظام الكوتا النسائية، وعلى ضوئه تبوَّأت ما أمكن من المراتب القيادية في "م.ت.ف" والسلطة الوطنية، فباتت بعضهن وزيرات، وأعضاء لجنة تنفيذية، ومُحافظات يُدرن شؤون المدن والبلديات، لكنّ المعوقات ما زالت تحول دون وصول المرأة إلى المشاركة الفاعلة بصناعة القرار السياسي، رغم الجهود المبذولة من فخامة رئيس دولة فلسطين الأخ محمود عبّاس، والذي أغتنمُ الفرصة لتحيَّته على مصادقة فلسطين على اتفاقية "سيداو" المناهضة للعنف ضدَّ المرأة، ولرفضه بشكل قطعي لجميع الإملاءات الأمريكية الإسرائيلية بحقِّ شعبنا".

معاناة المرأة في مخيّمات لبنان تفوق ما يتحمَّله الرجل

تُنوِّه عضو اللجنة المركزية ومشرفة القطاع النسوي في "حزب الشعب الفلسطيني" في لبنان دنيا خضر إلى أنَّ المعاناة التي تتحمَّلها المرأة اليوم، وتحديدًا في مخيّمات لبنان، تفوق ما يتحمَّله الرجل، لتعدُّد المسؤوليات الملقاة على كاهلها، وتوضح: "تحملُ الفلسطينية هَمَّ القضية الوطنية، ومسؤولية مجتمعية على مستوى الأسرة والمجتمع، وفي حالات كثيرة تزداد أعباؤها الاجتماعية والمعيشية في حال فقدان مُعيل الأسرة".

أمَّا عن الدور النضالي للمرأة عبر محطّات الثورة فتقول: "التحقت قطاعات واسعة من الفلسطينيات بصفوف الثورة، وعملن في مختلف المواقع والمقرّات، وأنا كنتُ واحدة منهن بانتسابي إلى صفوف جيش التحرير الفلسطيني وحزب الشعب. فقد عملَت المناضلات في الإدارة واللاسلكي والمهمّات العسكرية والقتالية، وقدّمن التضحيات، ولكنَّهنَّ لم ينلن حقوقهنَّ في التمثيل وتَبَوُّؤ المراكز والمشاركة السياسية، باستثناء عدد قليل منهن، رغم وجود كوتا خاصّة بتمثيل المرأة".

وتردف: "العرف لدى الرجل والعاملين في الأُطُر السياسية والحزبية يسمح للمرأة بالوصول إلى المراتب المتقدّمة في مجالات ذات صلة بمهمّات وحاجات المرأة فقط، مع أنَّ الفلسطينيات أثبتن جدارتهن في الميادين كافّةً، والجميع يعلم كيف أعادت النساء إعمار المخيَّمات

التي دمَّرها العدوان الإسرائيلي على لبنان، كعين الحلوة والبرج الشمالي".

وتتابع: "يحزُّ في نفس المرأة أنَّها تعمل في مجتمع لا يرحم تغلب عليه النظرة الدونية لها. ففي العائلة تُكلَّف الفتاة على الدوام بتلبية طلبات الذكر بغض النظر عن سنه وصلة قرابته بها، والأدهى أنَّ التنظيمات التي تعدُّ نفسها متقدِّمة، بل وطليعية أحيانًا، تُكرِّس المفهوم نفسه بتعاملها مع المناضلات، وإن بترجمات ومخرجات أخرى".

وفي عرضها لمعاملة البلد المضيف للمرأة تقول خضر: "الفلسطينيات أكثر عُرضةً للإصابة بالضغط النفسي، والعصبي جرّاء أوضاع المخيّمات الصعبة، وعدم ترجمة لبنان مصادقته على الاتفاقية الدولية لحقوق الإنسان إلى واقع ملموس، يُفضي إلى الكفِّ عن التضييق وحرمان اللاجئين الفلسطينيين من ممارسة حقوقهم وأقلّها الإنسانية".

الفلسطينيات أدّين دورًا نضاليًّا واجتماعيًّا رياديًّا

ترعرعت المناضلة فاطمة قُرطام في كنف عائلة فلسطينية مناضلة لجأت إلى مخيَّمات شمالي لبنان، وعاشت حالة التشرُّد والبؤس. لم تكن قد تجاوزت السابعة من عمرها حين بدأت تسمع عن العمل الفدائي، وعطفًا على ذلك تقول: "عندما كنتُ أسألُ عن غياب والدي كانت تُخبرني أُمّي أنَّه يعملُ في مكان بعيد، وعندما يعود إلى البيت كان يُحضر معه باقةً من الزنبق الأبيض الجميل، ويُخبرنا بطريقة أو بأخرى أنّه يعمل في مشتل ورد، ولكنَّنا عرفنا فيما بعد أنّه كان منخرطًا بالعمل الفدائي".

وتكمل قُرطام: "مع انطلاقة الثورة التحق أشقائي بالعمل الفدائي، وبدل أن ننتظر والدي فحسب، بتنا ننتظر عودة الجميع بفارغ الصبر والقلق. وعندما كبرتُ أيقنت أنَّ لا حل لإنهاء معاناتنا إلّا بالعودة، لذا ذهبت للتدرُّب في المعسكرات، حيثُ تعرَّفت على فلسطين أكثر من خلال محاضرات التوعية".

وتُسجّل اعتزازها بالثورة كونها شرَّعت أبوابها أمام جميع فئات المجتمع، وقبلت بانخراط النساء ومشاركتهن في ميادين النضال، الأمر الذي سمحَ لقُرطام بتحمُّل المسؤوليات في صفوف "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، لتغدو عضو لجنة مركزية ومسؤولة لجان المرأة الشعبية الفلسطينية للجبهة في لبنان، وعضو هيئة إدارية ومجلس إداري في فرع الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في لبنان.

وتستذكر مرحلة انضمامها للاتحاد في مخيَّم البداوي عام ١٩٧٩، فتقول: "كُنّا نعمل كخلية النحل ليلاً نهارًا، ولم نبخل بشيء، ولم نكتفِ بجمع التبرعات، بل كنّا أيضًا نحيك الألبسة، ونُحضِّر الطعام والحلوى لحراس الثورة ومناضليها".

وتُضيف: "كان للمرأة الفلسطينية دورٌ رياديٌّ وبارزٌ في صفوف الثورة، وكانت تعمل في سبيل بناء مجتمع واعٍ تربويًّا وسياسيًّا وصحيًّا، وتسعى لإعداد جيل مقاوم".

وترى بتراجع المد الوطني العام وتردي الأوضاع الاقتصادية عاملاً انعكس سلبيًّا على دور المرأة وعطائها أكثر من سائر الشرائح المجتمعية، وتستدرك: "لكن رغم كلّ ذلك ما زال الاتحاد العام للمرأة هو الأكثر قُدرةً على تأهيل وتمكين النساء من العمل السياسي والمجتمعي عبر مؤسّساته ومشاريعه في المخيّمات، ويصبح الاتحاد مرجعيةً لكافة النساء بحال توفَّرت لديه الإمكانيات والمشاريع التي تُمكِّن المرأة من إيجاد ذاتها، وتحقيق أحلامها، وتطوير قُدراتها لخدمة مجتمعها وقضيتها".

أوضاع المخيَّمات تُثقِل كاهل المرأة بالمسؤوليات

التحقت حميدة الأحمد بالثورة في صفوف "جبهة التحرير الفلسطينية" عام ١٩٧٦، وعملت كمتطوّعة بدون راتب. وفي العام ١٩٨١، أتمَّت دورةً عسكرية في المدينة الرياضية ببيروت، كما أنهت دورة كادر، وتدرَّجت في تسلُّم المهمات إلى أن باتت اليوم مسؤولة الإطار النسوي لجبهة التحرير في لبنان، وعضو قيادة منطقة في الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية.

تنقَّلت الأحمد بحكم عملها بين مخيَّمات صور وصيدا بشكل خاص، وشاركت في أعمال الإغاثة وإسعاف الجرحى وعيادتهم خلال الأحداث، وفي إيصال الطعام للمقاتلين، وإيصال المرتّبات المالية لعوائل الشهداء والجرحى، ولها إسهامات في أعمال مشغَل الخياطة وحياكة المنتوجات التراثية الذي أسَّسته الجبهة في حي الطيرة بعين الحلوة سابقًا.

المناضلة الأحمد، وفي عرضها لمعاناة المرأة، وتحديدًا في عين الحلوة، تقول: "إنَّ معاناة المرأة في المخيَّم عمومًا، وجرّاء أعمال العنف خصوصًا، تُثقِل كاهلها بأعباء كبيرة لا سيما في حال غياب ربِّ الأسرة، بسبب العمل وخلافه، فتجد الأمهات يركضن لإعادة أبنائهن للبيوت، ويفزعن في حال ابتعادهم من احتمال تعرُّضهم للإصابة برصاص طائش".

وتُنهي حديثها بتثمين دور الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ووقوفه إلى جانب الفلسطينيات، وعمله على تمكين وتعزيز قُدراتهن السياسية والمجتمعية.

زهرة ربيع: الفلسطينيات قدَّمن التمسُّك بحقِّ العودة، والحفاظ على الذاكرة والهُويّة الوطنية، والمشاركة في معركة الحُريّة والاستقلال على القضايا الحقوقية والمطلبية النَّسَويّة

دنيا خضر: الفلسطينيات أكثر عُرضةً للإصابة بالضغط النفسي والعصبي جرّاء صعوبة أوضاع المخيّمات وحرماننا كلاجئين من حقوقنا الإنسانية

فاطمة قُرطام: أدَّت المرأة الفلسطينية دورًا رياديًّا وبارزًا في صفوف الثورة، وعملَت في سبيل بناء مجتمع واعٍ تربويًّا وسياسيًّا وصحيًّا وإعداد جيل مقاوم

حميدة الأحمد: معاناة المرأة في المخيَّم عمومًا، وجرّاء أعمال العنف خصوصًا، تُثقِل كاهلها بأعباء كبيرة خاصّةً في حال غياب ربِّ الأسرة

لماذا

انتفض الناس بوجه "حماس" في غزّة؟

يبلغ سعر علبة سجائر من ماركة "رويال" في مصر ١٩ جنيهًا مصريًّا (نحو ٤ شواقل)، لكن بعد الضرائب التي تفرضها "حماس" يتذبذب سعرها بين ٢٦ و٣٠ شيقلاً.

محمد الأقرع الذي يقطن قرب شاطئ البحر في دير البلح، أنهى تعليمه الجامعي وحصل على بكالوريوس محاسبة قبل ٦ سنوات، ولكنَّه يقول: "لم أعلم أنَّ شهادتي الجامعية لن تساعدني في الحصول على وظيفة، خسارة أن أدفع ما دفعته من أموال، وفي النهاية أعمل سائقًا بالأجرة على سيارة ليست لي".

ولم تقتصر معاناة المواطن محمد الأقرع على شح فرص العمل والضرائب الباهظة، بل امتدّت لترخيص السيارة، وحتى الخبز، حيثُ يقول: "كنا نشتري ٣ كيلو بـ٧ شواقل، وبقرار من "حماس" أصبحت الكمية ٢،٨ كلغم".

ويقول الأقرع، وهو أب لطفلين، إنَّ "حماس" فرضت ضريبة تُعرف بـ"ضريبة التكافل" التي لا تخضع لقانون، وليس لها ملامح واضحة على معظم السلع "اللهم جمع الأموال في كل مرفق".

ويُشير إلى أنَّ رسوم ترخيص سيارته (سكودا ٢٠١٢) تبلغ ١٧٠٠ شيقل سنويًّا بما في ذلك الضريبة لأنَّه مسموح لها تحميل الركاب، لكنَّه عندما ذهب لتجديد الترخيص تفاجأ أنّه يتوجَّب عليه دفع ٢٧٠٠.

"الـ١٧٠٠ شاملة الضريبة، من أين جاؤوا بألف جديدة لا أعلم؟! والأدهى أنَّها بأثر رجعي من كانون الثاني ٢٠١٨"، يقول الأقرع، مضيفًا: "يجب أن تقوم ثورة ضد هذا الظلم والغلاء".

"حماس" تستخدم القوّة لقمع الثائرين على غلاء الأسعار

دير البلح كانت إحدى المسارح لمظاهرات حملت شعار "بدنا نعيش" التي ينظِّمها حراك شبابي مستقل في قطاع غزّة احتجاجًا على الغلاء والضرائب والبطالة.

غير أنَّ العشرات من ميليشيات "حماس" وصلوا إلى مكان الاحتجاج بملابس مدنية و"شرطية" مدجَّجين بالسلاح والهراوات الخشبية والكهربائية.

مسلّحو "حماس" أطلقوا النار في الهواء وهاجموا المتظاهرين بالهراوات ما أدَّى إلى إصابة عدد منهم بجروح، فيما ما زالت تُمنع المستشفيات التي تسيطر عليها "حماس" من نشر أيّة إحصائيات عن عدد المصابين.

وعندما تدخَّلت بعض النسوة لحماية أبنائهنّ أيضًا لم يتوانَ المسلّحون عن ضربهن بالهراوات. كما طاردوا المحتجّين في شوارع المدينة واعتقلوا عددًا منهم، ووصل الأمر إلى اختطاف بعضهم من مستشفى شهداء الأقصى، عُرف منهم سيف البحيصي وابنا عمومته يوسف ومحمود.

وانتشر الشبان في الشوارع المتفرّعة من شارع المعسكر هربًا من الهراوات، وبعضهم اتّخذ ساترًا ليرشق عناصر "حماس" بالحجارة.

انعدام الأفق دفع الشبّان للتظاهر

بين الأزقة التقينا رامز سليم (٢٦ عامًا)، حيثُ قال إنَّه يُشارك في الحراك لأنّ مستقبله ضاع، ولأنّ "حماس" تسبَّبت في تدهور الوضع الاقتصادي.

"حلبونا.. مهمّتهم جمع الأموال من جيوبنا فقط ولا فرص عمل"، يقول رامز وهو يلهث، ويتابع: "حتى المرضى لم يسلموا، فلدي تأمين صحي وقبل دخولي لغرفة العمليات أجبروني على دفع ١٠٠ شيقل. ولا أدري لماذا أصلاً عليَّ أن أدفع ولديَّ تأمين صحي ساري المفعول؟!".

وتسيطر "حماس" على قطاع غزّة بكل مرافقه بما في ذلك المستشفيات، وتفرض غرامات على العمليات الجراحية تحت بند "عملية ذات مهارة"، وتختلف الغرامات وفقًا لنوع العملية.

ويُشير سليم، الذي توقّف عن دراسة العلوم الإدارية بسبب الأزمة المالية،

توقَّف السائق، محمد الأقرع، (٣٢ عامًا)، بجانب بائع سجائر متجوّل على قارعة الطريق في مدينة دير البلح، جنوبي غزّة، وطلب منه سيجارة من ماركة "رويال" المُهرَّبة من جمهورية مصر العربية. تناول البائع ١،٥ شيقل من السائق، التقط سيجارة بين الإبهام والسبابة، وجعل ظهر يده لأعلى كي يداريها من قطرات المطر الخفيفة.

إلى أنَّ "حماس" تُشكّل "حكومة جباية" فقط، فلا ترعى القطاع الصحي ولا التعليمي سوى المدارس التي تتبع لحركتها فقط.

"يقسّمون مدرسةً نصفين أو يعتمدون على اليوم الدراسي المسائي ويُعلنون أنَّهم افتتحوا مدرسة"، يقول رامز بتهكُّم.

وفي حين تتحمَّل السلطة الوطنية الفلسطينية تكاليف إدارة المستشفيات من أدوية وتأمين صحي ورواتب موظّفين عدا مَن عيَّنتهم "حماس" تسيطر "حماس" على هذه المستشفيات، وتستولي على المساعدات والأجهزة الطبية التي تصل غزّة، وتكون الأولوية في توزيعها للمستشفيات والعيادات التي تملكها "حماس" أو تتبَع لجمعيات تديرها هي!

وبعد مرور ١٢ عامًا لم تبنِ "حماس" مستشفى واحدًا أو مركزًا صحيًّا إلّا ويكون تابعًا لها بشكل أو بآخر.

أزمات متفاقمة تعصف بغزّة

من بين أشجار النخيل التي تشتهر بها مدينة دير البلح هرع خليل زقوت باتجاه الجنوب نحو تجمّع عائلته، وعبَّر عن خوفه قائلاً: "فش عندهم رحمة بلاش يطخونا".

زقوت الذي يبلغ من العمر ٣٤ عامًا، أوضح أنّه أغلق محل نجارة بسبب تراكم الديون وعدم وجود عمل يغطي أجرة المخزن ولا أموال لشراء وقود لمولّدات الكهرباء "التي تُسرق".

ويعاني قطاع غزّة من أزمة كهرباء منذ سنوات بسبب شح الوقود. وسبق أن تبرَّعت قطر وتركيا والاتحاد الأوروبي بعشرات ملايين الدولارات لتزويد محطة التوليد في غزّة بالكهرباء، لكنَّ المسألة لم تُحل وأسعارها بقيت ثابتة (نصف شيقل لكل كيلو) سواء أكان الوقود عبر تبرعات أم مدفوع الثمن.

"شاركتُ في المظاهرة لأنَّه لا يوجد حل، ٦ سنوات بدون عمل وأنا أب لأربعة أطفال"، يقول زقوت. ويُضيف: "فرص العمل حتى في "حكومة" حماس (غير المعلنة) في غزّة لأبناء "حماس" فقط، أمَّا الشعب يموت".

وكان القيادي في "حماس"، خليل الحية، قد قال في حزيران ٢٠١٧ إنَّ "مال حماس لحماس"، في إشارة إلى عدم مسؤولية حركته عن الشعب.

ويقول مدير الإعلام والعلاقات العامة في الغرفة التجارية بغزّة ماهر الطباع، إنَّ الوضع الاقتصادي يمر بأسوأ حالاته لافتًا إلى أنّ عدد العاطلين من العمل في قطاع غزّة يقدّر بـ٣٠٠ ألف من مجمَل عدد السكان الذي بلغ نحو مليونَي مواطن.

ويلفت إلى أنَّ نسبة البطالة في غزّة تبلغ نحو ٥٣٪، أمّا في صفوف الخرّيجين والشباب فتصل إلى ٦٩٪، كذلك تبلغ نسبة الانعدام الغذائي ٦٩٪ وفقًا لمركز الإحصاء الفلسطيني.

ويلفت الطباع إلى أنَّ بعض قرارات "حماس" المالية تختلف عن المتعارف عليه في المحافظات الشمالية (الضفة الغربية)؛ فترخيص المركبة الملّاكي (ديزل) في المحافظات الشمالية يبدأ من ٦٦٠ شيقلاً، أمَّا في غزّة فيبلغ ٢١٠٠ شيقل.

"مَن يفرض الضرائب والرسوم بإمكانه أن يقرِّر تخفيضها ويخفِّف عن المواطنين.. فالمواطن هو الذي يدفع الثمن"، يقول الطباع.

وتفرض "حماس" غرامات أخرى على مختلف السلع التي يزداد عليها الطلب كان آخرها الملابس المستعملة "البالة"، حيث قرَّرت تغريم كلّ تاجر ٢٠٠ شيقل عن كلّ طن. فيما تختلف المبالغ المالية على السلع التي يستوردها التجّار وتدخل القطاع عبر معبر كرم أبو سالم. ولا توجد سياسة واضحة أو معلنة، فأحيانًا تُفرَض غرامات وفقًا لعدد الشاحنات أو الوزن أو العدد تبعًا لكل سلعة.

ماهر الطباع: مَن يفرض الضرائب والرسوم بإمكانه أن يقرِّر تخفيضها ويخفِّف عن المواطنين.. فالمواطن هو الذي يدفع الثمن

رامز سليم: "حماس" تُشكّل "حكومة جباية" فقط، فلا ترعى القطاع الصحي ولا التعليمي سوى المدارس التي تتبع لحركتها فقط

"حماس" تعمد لطمس الحقيقة عبر استهداف الصحافيين

كما خرجت مظاهرات في مخيّم جباليا قمعتها ميليشيات "حماس" بالقوة. وهاجم مسلَّحون مقنَّعون وغير مقنَّعين الحراك الشبابي، واعتدوا على المحتجّين بالهراوات، واعتقلوا عددًا منهم.

ومنع أفراد "حماس" الصحافيين من التصوير وهددوهم بالاعتقال ومصادرة معداتهم في حال لم يغادروا المكان.

وكادت المظاهرات تتحوَّل إلى ما يشبه معركة بين جمهورين بعد أن زجَّت "حماس" بالمئات من أفراد "أسر المساجد" -(أعضاء حلقات التجنيد في كلِّ مسجد)- التي تديرها "حماس" ما أدّى إلى اشتباك بالأيدي مع المحتجّين.

وندَّدت مختلف الفصائل الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني بقمع "حماس" للمتظاهرين السلميين المطالبين بحقوقهم الأساسية، ودعوا "حماس" للإفراج عن المختطَفين منهم والكفِّ عن ملاحقتهم والاعتداء عليهم.

السلطة المرتعبة في غزة

أوهـام موقتـة

صقر أبو فخر

ليس مستغرباً البتة ما شاهدناه في غزة في الأسابيع الماضية. وليس غريباً ذلك على مَن قتل في سنة ٢٠٠٧ نحو ٤٠٠ مناضل من حركة فتح، وقطّع أرجل ٤٠٠ آخرين بإطلاق النار على رُكبهم. إن تكسير الأيدي والأرجل بالمواسير الحديدية، كما جرى لعاطف أبو سيف، يذكرنا جميعاً بالمشاهد الصادمة التي مارسها الجيش الاسرائيلي في الانتفاضة الأولى حين كان يطحن عظام الشبان الفلسطينيين المتظاهرين. أما ما غاب عن المشاهد الحديثة في غزة فهو إسحق رابين رئيس أركان الجيش الاسرائيلي الأسبق، وقد ظهر بدلاً منه مفتون من طراز يونس الأسطل الذي لم يتورع عن إصدار فتوى تقول إن التظاهر والخروج ضد المقاومة حرام شرعاً، ومَن يُقتل بسلاح المقاومة فهو كافر ولا ديّة له، ومَن يقتُله لا حرج عليه ولا حساب.

سُئل أوسكار وايلد: ما الفرق بين اللص ورجل الدين الفاسد فقال: اللص له ماض، أما رجل الدين الفاسد فله مستقبل. والفاسدون في غزة كثيرون جداً بحسب ما تكشفه لنا الوقائع والحوادث، كأمراء الأنفاق، وناهبي الأموال العامة، والذين استولوا على الأراضي خصوصاً الأراضي التي كانت المستعمرات الاسرائيلية تقوم عليها. وهؤلاء وأمثالهم باتوا لا يخجلون من ثرائهم السريع، بل يرددون بلا خجل: "وأما بنعمة ربك فحدّث". فالتسلط ومزج الدين بالسياسة يؤديان إلى نموذج قبيح من الفاشية، وإلى سلوك مطابق لها، مع العلم أن الدين لا يردع العامة عن القيام بأعمال غير أخلاقية. وحده القانون هو من يردعها، ثم تتولى السلطة الشرعية تنفيذ أحكامه. أما ما يجري، وما جرى في غزة، فلا قانون يسوّغه، ولا سلطة تمنعه، لأن "القانون" في تلك الحال هو قانون المتسلط نفسه الذي يتصرف بموجب "فقه التغلب" لا بموجب الأخلاق السامية؛ بموجب قوانين التوحش لا بموجب ما استقرت عليه الانسانية من قواعد عامة للسياسة ورعاية شؤون الناس.

الديمقراطية، بالتعريف، هي حكم الشعب للشعب بواسطة ممثلي الشعب، استناداً إلى الدستور والقوانين الدستورية. أما الإخوان المسلمون الفلسطينيون (حماس) فهم يرفضون الديمقراطية من أساسها، ويتطلعون إلى إقامة حكم الله بدلاً من حكم الشعب، وبواسطة الشريعة بدلاً من الدستور. لذلك كان من الطبيعي أن تحتكم فتح دائماً إلى صندوق الاقتراع. وهي احتكمت إليه حقاً في انتخابات ٢٠٠٦ وقبل ذلك بالتأكيد، لكن حماس، خلافاً لذلك، احتكمت إلى صندوق الذخيرة في ٢٠٠٧/٦/١٤، وما برحت، حتى هذه اللحظة، تحتكم إليه. وبهذا المعنى صارت حماس، كحركة سياسية، غير صالحة لإدارة شؤون الناس، بعدما لم تتمكن من تقديم أي نموذج راقٍ وعصري للسلطة، بل قدمت طرازاً منفراً من التسلط.

سلطة مرتعبة

ذلك العنف غير المسبوق في قطاع غزة، وتلك الروح الذئبية التي توجّه أيدي المسلحين، إنما تبرهن بجلاء أن حماس باتت سلطة مرتعبة حيال احتجاجات الناس التي ملأت الشوارع والأحياء. فحماس لم تقدم طوال الاثني عشر عاماً الماضية أي شيء مفيد لسكان قطاع غزة: لا مستشفى ولا مدرسة ولا مستوصف ولا حتى ملاجئ، مع أنهم ماهرون جداً في حفر أنفاق التهريب. ولم يشهد قطاع غزة كله تأسيس أي مشروع إنمائي، وما كان موجوداً قبل ذلك صار رثاً ومتهالكاً. وفوق هذا كله بادرت حماس إلى زيادة الضرائب والرسوم على المواد الأساسية لمعيشة الناس. وهنا بالتحديد عبّر هؤلاء الناس عن احتجاجهم تحت شعار "بدنا نعيش". وأكثر ما أرعب سلطة حماس هو أن الحراك الشعبي كان حراكاً عابراً للمنظمات الفلسطينية ومستقلاً عنها في الوقت نفسه. وخشيت حماس من أن يتطور الحراك الشعبي المستقل إلى احتمال إطاحة سلطتها وأجهزتها الأمنية، فعمدت إلى حملة هائجة لم تعرفها الحياة السياسية الفلسطينية إلا مرة واحدة فقط في ٢٠٠٧/٦/١٤، كأن القائمين على هذه الحملة مثل عين السمكة ليس لها جفن ليرف خجلاً.

لنتذكر أن بدايات هذه المطاردة بدأت قبيل نهاية العام ٢٠١٨، حين كانت الاستعدادات جارية للاحتفال بذكرى انطلاقة الثورة الفلسطينية، وهي مناسبة وطنية عامة، وليست مناسبة فتحاوية فحسب. آنذاك، جرى اعتقال عشرات المناضلين من حركة فتح، لتتصاعد المطاردات أكثر فأكثر بعد ذلك. وجرى، في ذلك السياق، الاعتداء على مقر تلفزيون فلسطين وتحطيم موجوداته، واختطاف عضو المجلس الثوري لحركة فتح إياد نصر. ثم التهبت حملة المطاردة لتطاول الجميع، وتُنزل بهم الاعتقال والضرب والترويع ودهم المنازل، وتصيب في سمومها الصحافيين والناشطين والكُتّاب والنساء، حتى الأطفال تعرضوا للضرب المبرح، ووصل عدد المعتقلين في ذروة الاستباحة الهمجية إلى نحو ٣٥٠٠ شخص. ومع ذلك لم يتورع عاطف عدوان من حركة حماس عن القول: مَن لا تعجبه الأسعار في غزة فليرحل.

إن هذا التعالي الأجوف والاستهتار بأمان الناس وأمنهم يفسرهما المثل الصيني التالي: "حين يصبح لأشخاص صغار ظل كبير فتلك إشارة إلى أن الشمس تغيب". ولا ريب أن الرعب من الإقصاء كان العقاب الوحيد الذي لحق بأولئك الأوباش الذين روّعوا حتى الطفولة في غزة.

اللعب بالأوراق الخائبة

إن حماس، بسلوكها القمعي المتمادي، ما عادت حركة مقاومة، بل صارت سلطة متحكمة على الرغم من أن فئات شعبية متفاوتة الاتساع تمنحها التأييد. لكن "الكثرة ليست من أمارات الحق ولا القلة من علامات الباطل" على ما يقوله القاضي عبد الجبار. وفكرة المقاومة لدى حماس صارت ورقة استخدامية تستعملها، إلى جانب الأسرى الاسرائيليين لديها، في الوصول إلى اتفاق تهدئة مع اسرائيل يتيح لها ديمومة تسلطها على قطاع غزة وسكانه. وللعلم فإن أسيرين اسرائيليين ماتا وصارا جثتين، وبقي إثنان في قيد الحياة هما أبراهام منغستو من أصل إثيوبي، وهشام السيد وهو بدوي فلسطيني. وبالتالي فإن إسرائيل غير مستعجلة كثيراً على استعادة جثتين وواحد من الفلاشا وآخر من البدو. وتبقى مسيرات العودة التي حولتها حماس إلى مهرجان أسبوعي استعراضي بعدما دفع أهالي غزة نحو ٢٦٥ شهيداً حتى الآن ونحو ٢٦ ألف جريح بينهم قرابة ١٥٠٠ إصابة أدت إلى إعاقة دائمة. وبينما كانت حماس تريد التهدئة العسكرية مقابل رفع الحصار الاسرائيلي عن قطاع غزة، باتت تقبل الهدوء مقابل الهدوء، وهو ما كانت إسرائيل تعرضه. لذلك لم يجد قادة حركة حماس حرجاً في الاعتذار عن إطلاق صاروخين نحو غوش دان سقطا في الفلاة بلا أي أثر أو تأثير، بقولها إنهما انطلقا بشكل خاطئ. وكررت الذريعة نفسها مرة ثانية في ٢٠١٩/٣/٢٥ وكادت أن تتسبب بعملية حربية اسرائيلية ضد غزة، وهذا لعب بحياة الناس، مع أن إسرائيل قبلت الاعتذار في المرة الأولى، لأن من شأن ذلك أن يلائمها، فهي لا تريد تصعيد الوضع على حدود قطاع غزة قبيل الانتخابات. لكن ذلك لا ينفع في كل مرة مع إسرائيل. والأنكى من ذلك أن حماس تتحالف، يا للغرابة، مع محمد دحلان المتعاون مع مصر والإمارات العربية المتحدة العدوتين اللدودتين للإخوان المسلمين. وهذا ليس تكتيكاً بل استخدامٌ قبيح للذرائعية. ومهما يكن الأمر، فمن يسأل حماس عن الأموال التي تجبيها من المواطنين، وعن الأموال التي تتلقاها من الخارج، في حين أنها تسأل الناس عما يفكرون وعما لا يفكرون؟

أوهام التسلط

الانقسامات السياسية والخلافات مسألة طبيعية رافقت الحياة السياسية الفلسطينية منذ تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، وحتى قبل ذلك. لكن منظمة التحرير كانت تمثل البيت الواحد الذي يجمع الجميع، وفي داخله يتم تنظيم الخلافات والاختلافات. غير أن حماس جاءت متأخرة جداً على انطلاقة النضال الوطني، ومن خارج ذلك البيت الذي لا تعترف به في أي حال، ودأبت على خوض صراعاتها من خارجه. وهذا ما جعل البيت نفسه يتصدع، حتى بات مهدداً بالسقوط. والمعروف أن الأخوان المسلمين في فلسطين تقاعسوا عن النضال الوطني، واستنكفوا طوال العقود الثلاثة التي أعقبت النكبة عن المشاركة في الكفاح المسلح. وحين تهيأ لهم الميدان، خصوصاً بعد الانقلاب الدموي ضد الشرعية الفلسطينية في ٢٠٠٧/٦/١٤، مارسوا سلوكاً سياسياً معادياً تماماً للميراث الوطني الجماعي، ومدمراً للثقافة السياسية الفلسطينية الديمقراطية المتراكمة عبر السنين، وتجرأوا على استعمال ألفاظ قبيحة مثل "الجالية المسيحية" في غزة. ولعل هذه العبارة ليست من زلات اللسان العابرة، بل تعكس طرائق التفكير لدى قادة حماس الذين أوقعوا العسف في المواطنين المسيحيين مثل تفجير جمعية الكتاب المقدس ونهب دير راهبات الوردية وإحراقه، الأمر الذي جعل المسيحيين يهاجرون؛ فبعد أن كانوا نحو خمسة آلاف في سنة ٢٠٠٠ صاروا اليوم نحو ألفين فقط.

× × ×

يبدو لي، بعد قراءة اللوحة المرتسمة في غزة، أن الإنجاز الأكبر لحركة حماس خلال الثلاثين سنة الماضية هو الانشطار الجغرافي ما بين الضفة والقطاع، والانقسام السياسي، وإضعاف الحركة الوطنية الفلسطينية، وجعل قطاع غزة إمارة تحت رحمة أوهامهم في السلطة والتسلط. لكن ذلك موقت وإلى حين.

وعيُنا الوطني والمنـــاكفة المسـلحة؟

تنقسم الساحة الفلسطينية على اتساع تنظيماتها بين عدة معسكرات لا معسكرين كما يظن البعض، فلقد ذهب الزمن الذي كانت فيه التنظيمات السياسية فقط هي المعبّر عن نبض الشارع، لتشاركها فيه القوى الشعبية والجماهيرية تلك التي لم تستطِع التنظيمات السياسية أن تستوعبها لقصور ذاتي في هذه التنظيمات جميعا.

هذا الانقسام في الشارع السياسي الفلسطيني كان من الممكن النظر له بشكل إيجابي عندما يتم استثماره كتعددية رحبة في إطار الهدف الجامع والإطار الجامع والقائد الجامع.

ومن الممكن استغلاله سلبًا باعتباره شقوقا في جدار القضية الفلسطينية والهدف الموحد.

لم تعد الساحة الفلسطينية لتمثل شرعيّة مكتملة الأركان معترف بها من الجميع، ولا وحدة وطنية ناجزة، ولا تمتلك اليوم خطة أو برنامج عمل وطني متفق عليه من الجميع.

ما تقوله حركة "فتح" والمنظمة أنه الثوابت، وهو ما سارت عليه "حماس" بعد عشرات الأعوام من صراعها الداخلي خاصة من خلال تبنيها هذه الثوابت بوثيقتها عام ٢٠١٧ عادت ومزقتها "حماس" بالممارسات الوحشية على الأرض ضد المواطنين، وبلقاء موسكو عام ٢٠١٩ أي بعد أقل من سنتين.

مقاومة غير مؤطرة

إن دُعاة المقاومة الشعبية السلمية المتواصلة أي حركة "فتح" منذ العام ٢٠٠٥ ومعها غالب الفصائل حتى انضمام "حماس" و"الجهاد" عام ٢٠١٨ هذه المقاومة السلمية لم تؤطّر مطلقا حتى اليوم!

لم يتم التأطيربمنطق تحويل المقاومة السلمية الجماهيرية لفعل نضالي يومي حقيقي متسع يشكّل منهج حياة للجميع-كما كان بالانتفاضة الأولى كمثال- أكان المناضلون فيها موظفين أوأصحاب أعمال حرة، أكانوا شيوخا أم نساء ام طلابا... الخ.

هذه المقاومة الشعبية السلمية في الضفة -وما لحقها في غزة بعد قناعات بها لاحقة هو دأب التنظيمات الأيديولوجية-لم تتعد الا فعاليات موسمية، وفي كثير من الأحيان يتم استخدامها لأسباب مصلحية سلطوية، أو لتأمين أموال الداعمين أو تلبية لحاجة تخفيف الضغط عن هذا النظام أو ذاك.

التنسيق الأمني "الخياني"

تتضارب المفاهيم، وتخوض بها الفصائل معركة في عقل المواطن العربي الفلسطيني، وليس فقط مفهوم النضال والكفاح والسلام..الخ، وإنما أيضا المفهوم المشيطن حمساويا، أي التنسيق الامني ما تداعبه كثيرا فتشير للعمالة والخيانة فيه بوضوح حين تقول "التعاون الامني"، حتى هذا التنسيق الأمني الذي تصرخ "حماس" بإدانته ليلا نهارا في الضفة، ولا تفهم معناه من ال٤٠٠ صفحة ما تمثل "اتفاق أوسلو"، أقول حتى هذا التنسيق الأمني اضطرت "حماس" لممارسته في غزة تماما كما يُمارَس من السلطة الشرعية في الضفة، فلم يعد من المسميات المستخدمة في التراشق الاعلامي أي معنى، إلا المناكفة، فإن كان التنسيق في الضفة خياني فما بال ذاك في غزة تنسيق أو تعاون أمني طاهر ومقدس!

مُدخلات التطرف، والدبيب

المُدخلات في العقل المتطرف في تيار "حماس" الانقلابي-القطبي الذي يضرب بالعصا بيد فيكسر الضلوع والأيدي والرؤوس والأرجل، ويقذف من فمه بقنابل الاتهام الصاخب والفاحش والبذيء والمتكرر بحِدّة بالخيانة أو الكفر وما دونهما تدلّل على أن المفاهيم الحضارية الاخوية المدنية تاهت، أوأسقطت عمدا، وتدلل أن الرواية الوطنية الجامعة ذابت في مقابل تعملق المصالح الحزبية الضيقة بين دهاليز السلطة والحكم والنفوذ والحرام والحلال، واللاوطني والمناكفات.

لم يكن لحركة التحرير الوطني الفلسطيني- "فتح" أن تقود الشارع الا حين كانت تضع أذنها تحت أرجل الناس فتستمع لدبيب أقدامهم، قبل أن تستمع لما يقولونه من أفواههم فتُحول الدبيب لاستجابة، وماكانت لتقود الشارع دون أن تكون نبض الشارع الحقيقي.

إن وجود نباتات متسلقة وعفنة في أطر السلطة الوطنية الفلسطينية هي مما نراه يوميا يحاول التغطية على بهاء حركة "فتح" الفكرة الرحبة المتسعة، والكوادر المناضلين والمسيرة والمستقبل المنفتح.

كما نرى مثيلها من النباتات المتعفنة التي تقفل فم الحكماء في "حماس" وتجعل من صورتها مرتبطة بالمناكفات المسلحة، ومرتبطة بالتباغض الديني وكأننا كفار مكة مقابل امة الله حاشا لله، وبالعصا الغليظة والتمسك السخيف بكرسي الحكم، فلا دين ولا مقاومة ولا يحزنون!

فرسان العقل

إن فرسان الوعي الوطني والعقلاني لا يقبلون ركلة جزاء من حركة "فتح" ولا من "حماس"، ولا "الشعبية" ولا من أي تنظيم، ولا تستطيع حركة "فتح" أن تقود منظمة التحرير الفلسطينية منفردة مهما اجتهدت في ذلك، والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية خارج المنظمة سواء في أطرها أو في تعبيراتها الخارجية عبر الجاليات في أوربا.

نحن في الحركة الوطنية قاطبة (وحماس والجهاد ضمنها بالحركة الوطنية) إن لم نستمع للدبيب

بقلم: بكر ابو بكر

والحفيف، وخشخشة الطابور الخلفي فلن نفلح أبدا.

ونحن في حركة "فتح" أم الوطنية كما توصف إن لم نستطع توحيد المسار الفتحوي بالبرنامج السياسي الذي لم يُنشر حتى الآن! وبالنظام الداخلي الذي لم يُقرّ حتى الآن!

ونحن إن لم نستطع ترتيب بيتنا الأكبر في منظمة التحرير الفلسطينية فلا يمكننا القول أننا مع الوحدة الوطنية، أو أننا دُعاة الوطنية والاستقلالية والوحدة، هذا كلامنا النظري الصحيح ولكن الأرض تبكي من الحقيقة وتصيح.

نحن الإسلام فقط!

نحن في "حماس" عندما افترضنا تمثيلنا الحصري للدين! خاصة في التعبئة الداخلية القطبية الحصرية الاقصائية المستمرة للأسف، وعندما أملنا وراثة المنظمة سقطنا في بحر فكر المعسكرين الاستعدائي للآخر سياسيا ودينيا وهو الفكر الذي يبرر اتهام الآخر والحقد عليه ثم قتله.

الاعتراف بالحق فضيلة كما جاء من فم خالد مشعل في وثيقة عام ٢٠١٧ وكما جاء احيانا من فم حكماء "حماس"، ما يستوجب تنظيف الثقافة الداخلية من "شحار" الظلامية.

أملنا ف "حماس" أن نكون ممثلي المقاومة حصريا لنُفاجأ كما قال لي صديق من التنظيم، نفاجأ أننا نسير في أعقابكم كحركة فتح، فنقول ما لا نفعل ونفعل مالا نقول.

وسواء اتفقت معه فيما قال أو اختلفت فإن مجمل التنظيمات وعلى رأسها حركتنا أي حركة "فتح" فيها من القول الكثير حيث قلّ الفعل الناجز داخليا.

وفي حركة "حماس" فعلٌ كثير وقولٌ كثير، ولكن كلا القولين والفعلين ليسا في المكان والزمان الصحيحين.

المفاهيم الأساسية

نتساءل هل سقط الوعي الوطني الجمعي لسبب خلاف التنظيمات السياسية وعقلية الانقلاب؟ وتجريد سيف الحزبية الضيقة ومدرسة نحن ام هم؟

هل بتنا نختلف على المفاهيم الأساسية التعبوية العقدية الوطنية التي حين التنازع فيها تمثل مخاطر على العقل والبناء التربوي من مثل: ما هي فلسطين، وما هي القضية الفلسطينية؟ وما موقع منظمة التحرير الفلسطينية؟ وأين الميثاق الوطني؟ وما معنى الوحدة الوطنية؟ وما هي المقاومة الشعبية؟ وما هي الدولة الفلسطينية المستقلة؟ وما هو التطبيع أو ماهية الاتصالات مع الاسرائيليين؟

إن الوعي الوطني العام لم يعد يقبل منطق التذويب للرواية الوطنية الجامعة، ومنطق الاختلاف على ما لا يجب الاختلاف عليه،خاصة بعد أن وصلنا جميعا واقول جميعا بلا استثناء للفكر السياسي الواقعي.

نحن جميعا، بلا استثناء وليذهب المزاودون الى الجحيم، نفهم قدراتنا وامكانياتنا ومسارنا ووسيلة مقاومتنا من أجل فلسطين، ولكننا نُناكف بعنف لفظي، ونستخدم الوسيلة والتبريرات ضد بعضنا البعض!

منهج المناكفة

نتنصل وندين بكل قوة إطلاق رصاصة أو صاروخ من غزة ضد الاحتلال، ونبارك المقاومة المسلحة في الضفة الغربية؟ أهذا منهج مقاومة أم منهج مناكفة مسلحة؟

إنه بلا جدال منهج مناكفة، وليس خط مقاومة أو منهج مقاومة متفقاً عليه، حيث تحوّل فعل المقاومة فعلا احتفاليا فقط هنا أو هناك.

فلم يعد فعلا موجّها ضد الاحتلال بقدر ما يتم استغلاله إعلاميا وحزبيا في سياق فكر الإقصاء والاستعداء، والانغلاق السلطوي، وافتراض قاصر أن هذا الفصيل أو ذاك الفصيل هو أبوالمقاومة أو أبو الاسلام أو أبو أو أم الوطنية!؟

هل يوجد من التنظيمات مَن يستطيع العيش منفردا؟ لا، وأقول: أن أي تنظيم إن لم يمثل مع إخوانه فلسطين كلها، وباعتباره مقدمة رمح الامة العربية والاسلامية في قلب الاحتلال، وإن لم يمثل نبض الشعب بأن يضع خده مداسا لهذا الشعب؟ فلا يتوهم أو يظن الفوز لامتلاكه عصا السلطة، وخاب ظنه إن اعتقد أن في الهراوة مفتاح الحل؟ حتى لو حفظ القرآن الكريم عشرات المرات.

إن التحارب والتباغض والتنافر المصلحي والقيمي والمنهجي الحاصل بين الفصائل السياسية والمصبوب صبّا في الوعي الشعبي سلبا هو حقيقة الوضع الراهن جراء الانقلاب الأسود، المدعوم خارجيا، وياتي حال دوامه المشؤوم في سياق تنفيذ فصل القطاع عن الضفة انتصارا للجزء على الكل، ويؤدي الى تدمير الدولة الفلسطينية، وفداءً لأيقونة التطرف والعنصرية والاحتلال والاستعمار"ترامب"، وصديقه "نتنياهو".

كان الشعب هو الفيصل حين هبّ بمحبة لنصرة انطلاقة المقاومة الفلسطينية في فجر الفاتح من العام ١٩٦٥، وحين عانق بوفاء بطل الملاحم جميعا ياسر عرفات.

وكان الشعب ذاته هو الفيصل حينما أقدم على صنع انتفاضته العارمة عام ١٩٨٧ بدعم قيادته، يدا بيد وكتفا الى كتف، وما تلاها من انتفاضات ومقاومة شعبية يجب أن تمنهج.

وهو ذات الشعب البطل الذي يفهم معنى العيش الكريم والحياة النضالية، وهو الذي يصنع القادة وليس العكس، وهو الذي يصنع النصربإذن الله.

حماس

خلل بنيوي في الجسد الفلسطيني

فكرة التحرُّر تقوم على ثورة فكر وإرادة ضد واقع احتلال أو قهر واستبداد. وتكتمل شروطها بالثأر لكرامة وحرّية الشعب ببُعدي الهويَّة الوطنية والشخصية.

لا يمكن أن تكون هناك ثورة وقود دربها الشعب لا تكون وفيَّة له، وإلا ما قيمتُها؟ هذا الوفاء يتجسَّد باحترام تضحياته وجعلها قيمة كبرى لا تكسد كأن تُحترَم الحقوق وأن يُصغى للحاجات لكي يترسَّخ إحساس المواطن بمجد انتسابه وانتمائه لوطنه. ما الوطن إن لم يُحترم الموطن فيه؟ ما الإنسان إن لم توضع قيمته المعنويّة في مكانة الشعاع الذي يضيء قلب وسماء الوطن؟ عن أيِّ تحرير يصبح الكلام حينما تكون حماس نموذجًا للتحرير والتحرُّر؟

من المعيب ولأي سبب كان دخول قادة حماس والناطقين باسمها في سباق تبرير القمع والاذلال اللذين تعرّض لهما أبناء الشعب الفلسطيني. من العار الذي يُعدُّ من الكبائر أن تُسحقَ عظام الصارخين أن تهشَّم جماجمهم وأن يُجلدوا بالعصيِّ ويوضعوا بالزنازين، ويُهدَّدوا بالاغتصاب والاعتداء على أعراضهم... أنّى لشعب يملك روح العزة والكرامة أن يقتنع أو يصمت على ما قام به ممن يدَّعون انهم "مجاهدو الشهيد عز الدين القسام" من اعتداء وهتك للكرامات والأعراض في قطاع غزة المحتل؟

حين تتلخَّص أدبيات "حماس" بالتمكين ثم التحرير، يكون المشهد قد اكتمل. إذ إننا نكون ملزمين إما برفض ذلك الشعار والانتفاض عليه، وإما بقبوله كما هو، أي الخضوع للارادة التي تحدِّدها جماعة الإخوان المسلمين كما هي... أي أن التمكين هو اقتباس عملي لنظرية "كَيِّ الوعي" التي استعملها موشي يعلون خلال قمع الانتفاضة الثانية العام ٢٠٠١. وهي بناء للشرع الإخواني تهدف إلى إخضاع الشعب في غزة وإسكاته تماما تماشيًا مع متطلبات حكم أبدي لا مجال للتنازل عنه لأي كان... كل النظريات التي تلتفُّ على هذه المقولة وتحاول ترطيب المعاني وإسقاطات التوريات والرموز الأخلاقية والدينية مخادعة ومظللة وغير عادلة أبدا.

أخذت حماس شرعيَّة واحدة وبمناسبة واحدة لا يمكن أن تسمح بتكرارها تحت أي عنوان كان.

وهنا لا بد من الانطلاق من نقطة الشرعية ومعناها حسب الأدبيات الإخوانية التي تستند إلى نتائج انتخابات العام ٢٠٠٦ محصَّنة بانقلابها على الشرعية الوطنية في العام ٢٠٠٧. فهي دينيّة أولا، وبناء لشرع مشايخها ومفتيها وأولي الأمر من أمرائها الكثر. وما انخراطها في العملية الدستورية- القائمة أساسًا على اتفاق أوسلو سوى التماشي مع نظرية "زيادة الخير خير". بمعنى أن انقلاب حماس على الشرعية الوطنية لم يكن سوى مسألة وقت... لا أكثر. وهنا لا بد من السؤال: ما هي مصلحتها في تدمير وهزيمة الشخصيّة الفلسطينية المتمردة على كلِّ أشكال القمع والظلم؟ لماذا يُمنع شعبُنا في غزة من إعلاء صرخته "بدنا نعيش"؟ فقط من أجل الإثبات لمروّجي الصفقات بأن حماس أهلٌ للحكم وأن باستطاعتكم الاعتماد عليها وتنسيبها لهذه الصفقات... أي أن المستوى من القمع غير المسبوق الذي شهده القطاع على أيدي "مجاهدي حماس- ومقاوميها" ما هو إلا صك إثبات لقدرتها على ترويض غزة وجعلها دون منافس أو مناكف... وبالتالي الادعاء بأنها المرجع الوحيد الذي باستطاعته عقد الصفقات والاتفاقات... أيا كانت أهميتها وخطورتها.

إخضاع الشعب في قطاع غزة بالقوة، ومنعه من إعلاء صوت أوجاعه ومظالمه، ما هو إلا نموذج دقيق للحقيقة التي أعلنها كثيرون منذ إعلان نتائج الانتخابات في القطاع العام ٢٠٠٦، والذي يتلخص بأن

احتكام حماس للديمقراطية الشعبية وبناء على أن النتائج جاءت لمصلحتها تكون: لمرة واحدة... فقط.

إن هذه الحركة المخادعة والمظللة، المغلفة بالدين وآيات الله العظمى، ما هي إلا "غدة سرطانية تتحكّم بالجسد الفلسطيني... ويجب استئصالها"- وذلك اقتباس من الإمام الصدر الذي اعتبر الكيان الصهيوني الرابض فوق جسد بلد عربي اسمه فلسطين "غدة سرطانية".

هنا نكتشف ببداهة وبساطة القيمة الحضارية والوطنية التي تمثلها حركة فتح، التي وكيفما دارت الأمور أو تأزمت، لم تتخلَّ يوماً عن واجب احتضانها وإثبات مسؤوليتها عن شرائح الشعب الفلسطيني كافة، بصرف النظر عن هوية أفراده السياسية وتوجههم العقائدي.

لقد أثبتت هذه الحركة العظيمة نقاء فكريًا قلَّ نظيره، وانتماءً وطنيًا لا يمكن الحطُّ من صدقه ووفائه يومًا. إنها وبرغم كل المراحل الصعبة التي مرت وتمرُّ بها لم تخذل شعبها يومًا، بل تقاسمت وإياه أيام الرخاء والشدَّة... بلا منَّة أو تعالٍ. لم تنجرَّ يومًا إلى الدعوات المناديةً بالحرب الدموية على حماس، بل كانت ولم تزل، ورغم عمق الجرح وألمه، مع المصالحة التي تعيد التئام الصدع وشفاء الحال الوطني، وتنسيب النضالات الوطنية كلها إلى الوطن الأسير الذي يحتاج كل جهد وكل قطرة دم تفعّل العطاء وتجعله مجديًا وخصيب الوعد بالغد الأفضل للجميع.

لم تذهب حركة فتح إلى هذا المعسكر وتلك الدولة تبيع ولاءها وتشتري بالنزر القليل ودّها، بل قبضت على الألم وقالت للجميع: فلسطين أكبر من الجميع

حركة فتح قالت ولم تزل: لن نتلوّن ولن نبدّل جلودنا أيا كان الجزاء وأيا كان العقاب. ففلسطين قضية وشعبا يستحقان البذل اللامتناهي في سبيل الحرية والاستقلال والعودة

وقضيتها تمثّل الاستحقاق والأولوية الكبرى، لن نحيد عن درب النضال لأجلها أيا كانت المصاعب والأثمان التي ندفعها عقابا لنا على مواقفنا الوطنية المسؤولة.

حركة فتح قالت ولم تزل: لن نتلوّن ولن نبدّل جلودنا أيا كان الجزاء وأيا كان العقاب. ففلسطين قضية وشعبا يستحقان البذل اللامتناهي في سبيل الحرية والاستقلال والعودة. فلسطين ليست إحدى حريات الظلاميين ولا سلعة بأيدي تجار العذابات والآلام، بل هي أيقونة الأوطان وتاج عزّ على رؤوس المؤمنين بالنضال من أجل استعادتها وتحرّرها... مهما طال الزمن وصعبت المراحل.

إخضاع الشعب في قطاع غزة بالقوة، ومنعه من إعلاء صوت أوجاعه ومظالمه، ما هو إلا نموذج دقيق للحقيقة التي أعلنها كثيرون منذ إعلان نتائج الانتخابات في القطاع العام ٢٠٠٦، والذي يتلخص بأن احتكام حماس للديمقراطية الشعبية وبناء على أن النتائج جاءت لمصلحتها تكون: لمرة واحدة... فقط

انطلاقا مما سبق يبدو أن تكريس الانقسام هو المسار النموذجي لجماعة الأخوان المسلمين، لأنهم لم ولن يشبهوا حركة فتح يوما، لأن مال حماس لحماس كما أكد أكثر من مسؤول فيها. ولأنها لا تتقاسم مع الشعب الفلسطيني شيئا، بل تصرُّ على إبقائه رهينة لأهوائها ومغامراتها السياسية والعسكرية التي يدفع ثمنها الشعب الفلسطيني وحيدا... فمسيرات العودة كانت نموذجا فظا للعقل المغامراتي الذي أصرَّ وبتباه وعنترة قل نظيرهما على دفع الناس إلى الموت المجّاني الذي لم يكن يخفي سوى مؤامرة الاتفاق على الهدنة الطويلة الأمد. مئات الشهداء وآلاف الجرحى لم يُشبعوا نهم حماس بإسالة الدم الفلسطيني كيفما اتفق، ودونما أية فائدة وطنية توضع على طاولة المنجزات، اللهم إلا هدر تلك الطاقات الخلاقة وإزهاق أرواح أبناء وبنات شعبٍ جُبل بالعطاء والتضحية وتلبية النداء دون تردد.

هل من عاقل في حماس يدعو إلى وقفة تأمل وانتقاد للذي حصل؟ هل من مالك ضمير حرٍّ، يدعو إلى الكفِّ عن المزيد من ظلم الناس وكمِّ أفواههم؟ هل من عاقل في حركة تدّعي المقاومة و"التحرير" يقف أمام الدعوة إلى مراجعة كبرى لمعنى التباس المعيار بين المقاومة والسلطة... وبين أهمية الفصل بين التماهي مع العدو في سلوكه واحترام الشعب الذي تدعو إلى تحرّره؟ هل من عاقل في حماس يقول كفى استهبالا واستعلاء للعقول النظيفة التي تريد التوازن بين الكفاح المشروع وضرورات الحياة؟

حماس- الابنة البارة للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين: خلل بنيوي يجب أن يصوِّبه الشعب الفلسطيني.

بقلم: محمد سرور

قصة هبّة "يوم الأرض" في فلسطين

يُشكِّلُ «يوم الأرض» معلَمًا بارزًا في التاريخ النضالي للشعب الفلسطيني باعتباره اليوم الذي أعلن فيه الفلسطينيون تمسكهم بأرض آبائهم وأجدادهم، وتشبّثهم بهويتهم الوطنية والقومية وحقهم في الدفاع عن وجودهم رغم عمليات القتل والإرهاب والتنكيل التي كانت -وما زالت- تمارسها سلطات الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني بهدف إبعاده عن أرضه ووطنه.

وتحل ذكرى يوم الأرض سنويًّا حيث تشتد ولا تتوقف وطأة المجازر الصهيونية الإسرائيلية للاحتفاظ بالأراضي الفلسطينية. فمنذ المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ اتضح أن أراضي فلسطين وطرد أهلها العرب كان الهدف النهائي للحركة الصهيونية لجهة إنشاء "دولة يهودية" بأقل عدد ممكن من العرب، وتبعًا لتلك التوجهات استطاعت الحركة الصهيونية بالتحالف مع القوى الكبرى وخاصة بريطانيا المنتدبة على فلسطين (١٩٢٢ – ١٩٤٨) إنشاء الدولة المنشودة في ١٥ أيار ١٩٤٨ على نحو (٢٠) ألف كيلو متر مربع من أراضي فلسطين، تمثّل نحو (٧٤٪) من مساحتها البالغة (٢٧٠٠٩) كيلومتر مربع. وتمكنت العصابات الصهيونية مثل "الهاغانا والشتيرن والأرغون" من طرد نحو (٧٥٠) ألف فلسطيني ليصبحوا لاجئين في الأردن وسورية ولبنان، وفي الضفة وقطاع غزة، ومثّل اللاجئون الفلسطينيون آنذاك (٥٤٪) من إجمالي مجموع الشعب الفلسطيني في عام ١٩٤٨ الذي بلغ نحو (١,٤) مليون فلسطيني، وفي مقابل ذلك بقي داخل الخط الأخضر نحو (١٥١) ألف فلسطيني يتركز معظمهم في منطقة الجليل والنقب في جنوبي فلسطين، أصبح مجموعهم في عام ٢٠٠٣ –كمثال- نحو مليون ومائتي ألف فلسطيني.

ومنذ عام ١٩٤٨ أصبحت تلك "الأقلية" في أرضها موضع اهتمام أصحاب القرار في الدولة الصهيونية العبرية، حيث كان تزايدهم هاجسًا يؤرق المخطّطين الإسرائيليين، وبناءً على ذلك سعت الحكومات الصهيونية الإسرائيلية المتعاقبة خلال الفترة حتى اليوم إلى جعل حياة المجتمع العربي داخل أرضه لا تطاق، من خلال فرض وقائع على الأرض تمنع الفلسطيني من البناء والتوسع الجغرافي، ومصادرة الأراضي العربية لإنشاء مزيد من المستعمرات اليهودية عليها، وجذب مزيد من يهود العالم وارتفع مجموعهم من (٦٥٠) ألف يهودي في عام ١٩٤٨ إلى الملايين. ومع ازدياد مجموع المستعمرين اليهود في فلسطين (التاريخية) تسارعت وتائر مصادرة الأراضي وتهويدها.

الأرض مركز الصراع

شكّلت الأرض وما زالت مركز الصراع ولب قضية وجودنا كأبناء فلسطين القضية التي مثّلت حقيقة الصراع العربي-الإسلامي-الفلسطيني مع الحركة الصهيونية ما يحدّد مستقبلنا، فبقاؤنا وتطورنا منوط بالحفاظ على أرضنا والتواصل معها، وتحريرها وتطوير الإنسان.

وقد بنت الحكومة الإسرائيلية في عام ١٩٥٠ ما أسمته " قانون العودة" لتسهيل الهجرة اليهودية إلى (إسرائيل) واستيعاب اليهود. وفي المقابل سنَّت قانون أملاك الغائبين الإسرائيلي والذي صادر على نحو فعّال الأراضي التابعة للاجئين الفلسطينيين الذين خرجوا أو طُردوا من فلسطين التي أصبحت (إسرائيل) في عام ١٩٤٨، وأراضي المواطنين العرب في (إسرائيل) بعد تصنيفها في القانون على أنّها "أملاك غائبة"، وكانت نسبة "الغائبين الحاضرين" أو الفلسطينيين المشرّدين داخليًّا تبلغ نحو ٢٠٪ من مجموع السكان العرب الفلسطينيين في (إسرائيل)، حيثُ يُقدّر سلمان أبو ستة أنّ أكثر من ١٠٠٠ كلم^2 صودرت بين عامي ١٩٤٨ و٢٠٠٣ من المواطنين العرب في الأراضي المحتلة.

ووفقًا للكاتب الإسرائيلي "أورين يفتحئيل"، فإنَّ الاحتجاج ضد سياسات وممارسات الدولة الإسرائيلية من بين العرب الفلسطينيين كانت نادرة قبل منتصف سنة ١٩٧٠، وذلك بسبب مجموعة من العوامل بما في ذلك الحكم العسكري على مناطقهم، والفقر، والعزلة، والتجزؤ في حين كانت الحركة السياسية للأرض نشطة لنحو عقد من الزمن، وقد اعتبرت أنّها غير قانونية في عام ١٩٦٤، وكانت أكثر المناسبات البارزة المناهضة للحكومة هي احتجاجات يوم العمال سنويًّا التي كان يُنظمها الحزب الشيوعي.

في يوم السبت الثلاثين من آذار من عام ١٩٧٦ وبعد ثمانية وعشرين عامًا من النكبة، وفي ظل أحكام حظر التجول والتنقل، وإجراءات القمع والإرهاب والتمييز العنصري والإفقار وعمليات اغتصاب الأراضي وهدم القرى والحرمان من أي فرصة للتعبير أو التنظيم، هبَّ الشعب الفلسطيني في جميع المدن والقرى والتجمعات العربية في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ ضد الاحتلال الصهيوني.

يوم الأرض وإحياء ذكراه السنوية

في يوم السبت الثلاثين من آذار من عام ١٩٧٦ وبعد ثمانية وعشرين عامًا من النكبة، وفي ظل أحكام حظر التجول والتنقل، وإجراءات القمع والإرهاب والتمييز العنصري والإفقار وعمليات اغتصاب الأراضي وهدم القرى والحرمان من أي فرصة للتعبير أو التنظيم، هبَّ الشعب الفلسطيني في جميع المدن والقرى والتجمعات العربية في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ ضد الاحتلال الصهيوني.

كان يوم الأرض أول هبّة جماعية للجماهير العربية في داخل فلسطين (التاريخية)، تصرفت فيها جماهيرنا بشكل جماعي ومنظّم، حركها إحساسها بالخطر، ووجّهها وعيها لأبعاد قضيتها

الأساسية "قضية الأرض" ولسياسات المصادرة والاقتلاع في الجليل، خصوصًا في منطقة البطوف ومثلث يوم الأرض، عرابة، دير حنا وسخنين، وفي المثلث والنقب، حيثُ خرجت الجماهير إلى الشوارع، وقادت نفسها إلى الصدام مع السلطات القمعية الرسمية الإسرائيلية مقتربةً إلى إطار العصيان المدني الجماعي.

واتّخذت الهبّة شكل إضراب شامل وتظاهرات شعبية عارمة، أعملت خلالها قوات الاحتلال قتلًا وإرهابًا بالفلسطينيين، حيث فتحت النار على المتظاهرين ما أدى إلى استشهاد ستة فلسطينيين هم: خديجة شواهنة ورجا أبو ريا وخضر خلايلة من أهالي سخنين، وخير أحمد ياسين من قرية عرَّابة، ومحسن طه من قرية كفر كنا، ورأفت علي زهدي من قرية نور شمس واسُتشهد في قرية الطيبة، هذا إضافةً إلى إصابة العشرات واعتقال قوات الاحتلال أكثر من ٣٠٠ فلسطيني.

كان السبب المباشر لهبّة يوم الأرض هو مصادرة السلطات الصهيونية نحو ٢١ ألف دونم من أراضي عرّابة وسخنين ودير حنّا وعرب السواعد وغيرها لتخصيصها للمستوطنات الصهيونية في سياق مخطّط تهويد الجليل، إلى جانب سياسات الاقتلاع والتهويد. ويشار هنا إلى أنَّ السلطات الصهيونية قد صادرت خلال الأعوام ما بين عام ١٩٤٨و١٩٧٢ أكثر من مليون دونم من أراضي القرى العربية في الجليل والمثلث، إضافة إلى ملايين الدونمات الأخرى من الأراضي التي استولت عليها السلطات الصهيونية بعد سلسلة المجازر المروّعة التي ارتكبها جيش الاحتلال وعمليات الإبعاد القسري التي مارسها بحق الفلسطينيين عام ١٩٤٨.

ولكن معركة الأرض لم تنتهِ في الثلاثين من آذار، بل هي مستمرة حتى يومنا هذا، ولا تزال سياسات المصادرة تطاردنا، والمخططات المختلفة تحاول خنقنا والتضييق على المستقبل، لا بل إننا نمر بواقع مرير ومرحلة معقدة، تكثر فيها التوجهات العنصرية التي تسعى إلى نزع شرعيتنا السياسية وشرعية وجودنا، وليس فقط مصادرة أرضنا. ومثله ما يحصل جنبًا إلى جنب في أراضينا المحتلة عام ١٩٦٧ (الضفة الغربية وقطاع غزة) كما الحال في تلك المحتلة عام ١٩٤٨.

قضية الأرض هي أكثر القضايا التي تمتزج فيها الأبعاد المدنية والوطنية، فلا يمكن الحديث عنها مدنيًّا وتغييب أبعادها الوطنية، وفي نفس الوقت لا يمكن الحديث عنها وطنيا وتغييب أبعادها المدنية خاصة لنضال فلسطينيينا في أراضينا في العام ١٩٤٨.

وقد شارك الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م في فعاليات يوم الأرض، كما الحال لاحقًا وسنويًّا مع كل أبناء فلسطين بالعالم بحيث أصبح يوم الأرض مناسبة وطنية فلسطينية وعربية، ورمزًا لوحدة الشعب الفلسطيني التي لم تنل منها كل عوامل القهر والتمزق، وذكرى للتلاحم البطولي للشعب الفلسطيني في جميع أماكن وجوده.

معركة الأرض لم تنتهِ في الثلاثين من آذار، بل هي مستمرة حتى يومنا هذا، ولا تزال سياسات المصادرة تطاردنا، والمخططات المختلفة تحاول خنقنا والتضييق على المستقبل، لا بل إننا نمر بواقع مرير ومرحلة معقدة، تكثر فيها التوجهات العنصرية التي تسعى إلى نزع شرعيتنا السياسية وشرعية وجودنا، وليس فقط مصادرة أرضنا

"لجنة الدفاع عن الأراضي" ووثيقة (كيننغ)

أعلنت الجماهير العربية، ممثّلةً بـ"لجنة الدفاع عن الأراضي العربية" الإضراب الاحتجاجي على مصادرة الأراضي في منطقة المل، وذلك بتاريخ ١٩٧٦/٣/٣٠.

قرارات سبقت إعلان الإضراب:

١. صدور قرار بإغلاق منطقة المل (منطقة رقم ٩) ومنع السكان العرب من دخول المنطقة في تاريخ ١٩٧٦/٢/١٣.

٢. صدور وثيقة متصرف لواء الشمال في وزارة الداخلية (وثيقة كيننغ) في ١٩٧٦/٣/١ كاقتراح لتهويد الجليل واتخاذ إجراءات سياسية إزاء معاملة الأقلية العربية في (إسرائيل).

بعد الدعوة لإعلان الإضراب، عمدت السلطة الصهيونية إلى منع حدوث هذا الإضراب وكسره عن طريق التهديد بقمع المظاهرات والعقاب الجماعي، ولم تحاول السلطة الالتفات إلى الموضوع بجدية أكثر، بل سعت إلى إفشال الإضراب لما يحمل من دلالات تتعلق بسلوك "الأقلية العربية" كأقلية قومية حيال قضية وطنية ومدنية من الدرجة الأولى، ألا وهي قضية الأرض. فقد عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعًا استمرَّ أربع ساعات تقرَّر فيه تعزيز قوات الشرطة في القرى والمدن العربية للرد على الإضراب والمظاهرات.

وحذّرت قيادة "الهستدروت" (اتحاد العمال الإسرائيلي) العمال وهدّدتهم باتّخاذ إجراءات انتقامية ضدهم، وقرّر أرباب العمل في اجتماع لهم في حيفا طرد العمال العرب من عملهم إذا ما شاركوا في الإضراب العام في يوم الأرض. كذلك بعث المدير العام لوزارة المعارف تهديدا إلى المدارس العربية لمنعها من المشاركة في الإضراب.

أهم بنود الوثيقة (وثيقة كِننغ):

١. تكثيف الاستيطان اليهودي في الشمال (الجليل)

٢. إقامة حزب عربي يعتبر "أخا" لحزب العمل ويركز على المساواة والسلام

٣. رفع التنسيق بين الجهات الحكومية في معالجة الأمور العربية

٤. إيجاد إجماع قومي يهودي داخل الأحزاب الصهيونية حول موضوع العرب في إسرائيل

٥. التضييق الاقتصادي على العائلة العربية عبر ملاحقتها بالضرائب وإعطاء الأولوية لليهود في فرص العمل، وكذلك تخفيض نسبة العرب في التحصيل العلمي وتشجيع التوجهات المهنية لدى التلاميذ

٦. تسهيل هجرة الشباب والطلاب العرب إلى خارج البلاد ومنع عودتهم إليها

٧. ملاحقة قياديي الحزب الشيوعي، و"تلميع" قيادة تتلفع بالقومية بديلاً عنها

أرض المل: منطقة رقم ٩

تقع هذه الأرض ضمن مساحات القرى، سخنين وعرابة ودير حنا، وتبلغ مساحتها ٦٠ ألف دونم. استخدمت هذه المنطقة بين السنوات

١٩٤٢-١٩٤٤ كمنطقة تدريبات عسكرية للجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية، مقابل دفع بدل استئجار لأصحاب الأرض.

بعد عام ١٩٤٨ أبقت (إسرائيل) على نفس الوضع الذي كان سائدًا في عهد الانتداب البريطاني، إذ كان يسمح للمواطنين بالوصول إلى أراضيهم لفلاحتها بتصاريح خاصة. في عام ١٩٥٦ قامت السلطة بإغلاق المنطقة بهدف إقامة مخططات بناء مستوطنات يهودية ضمن مشروع تهويد الجليل.

خطة تهويد الجليل وسرقة أراضينا

احتفظت منطقة الجليل رغم كل المؤامرات الصهيونية بأغلبيتها العربية مع أنَّها المكان الذي أمعن فيه الصهاينة في تطبيق سياسة التهويد، فأعلنت السلطات الصهيونية في أوائل عام ١٩٧٥ عن خطة لتهويد الجليل تحت عنوان: مشروع "تطوير الجليل"، وهي الخطة التي تعد من أخطر ما خططت له حكومة إسرائيل ؛ إذ اشتمل على تشييد ثماني مدن صناعية في الجليل. مما يتطلَّب مصادرة ٢٠ ألف دونم من الأراضي العربية ذلك أنَّ نظرية الاستيطان والتوسع توصي بألا تُقام مظاهر التطوير فوق الأراضي المطورة، وإنّما فوق الأراضي البور والمهملة، وهي التسميات التي تُطلق على الأراضي التي يملكها العرب.

وقد شكّلت عملية تهويد الجليل -وما تزال- هدفًا من أهداف الحركة الصهيونية وهاجسها، فقد حدَّد بن غوريون هذا الهدف بقوله: "الاستيطان نفسه هو الذي يُقرر إذا كان علينا أن نُدافع عن الجليل أم لا".

وتطابقًا مع السياسة الصهيونية، تجاه الأرض، فقد احتلَّت (إسرائيل) عام ١٩٤٨ أقسامًا واسعة من الجليل، وأقامت فيها العديد من المستوطنات، وبرر الصهاينة عملية الاستيلاء على الأراضي، بأنها أراضٍ للغائبين، ولكن الاستيلاء لم يقتصر على أراضي الغائبين، وإنما وضع يده على "أملاك" حكومة الانتداب البريطاني، وتقدر هذه الأراضي بنحو ٢إلى ٣ مليون دونم، لكن (إسرائيل) لم تكتفِ بتلك الأراضي، وإنما امتدت يدها إلى أراضي الفلسطينيين الذين بقوا في أراضيهم، وكان العرب يملكون حتى عام ١٩٤٨ نحو ١٣ مليون دونم من أصل ٢٧ مليون دونم، بينما لم يكن للكيان الصهيوني سوى ٥,١ مليون دونم، والباقي أراضٍ مشاع.

بدأ العدو الصهيوني منذ عام ١٩٤٨ بسرقة الأراضي العربية وأخذ يُصدر القوانين المتعددة الأسماء والأشكال لتكون سرقتها "مبررة وشرعية" فمن قانون الأراضي البور إلى المناطق المغلقة، إلى قانون أملاك الغائبين إلى مناطق الأمن، إلى استملاك الأراضي. إلى إرغام العرب على رهن أراضيهم، حتى تمكنت من تجريد العرب من نحو مليون دونم من أخصب وأطيب أراضيهم. ولم يتوقف الإسرائيلي عن استصدار "قوانينه"، وممارسة سياساته، التي تتمشى وفقًا لنظريته القائلة: "ما أصبح في يدنا هو لنا، وما يزال في يد العرب هو المطلوب".

وكان آخر القوانين في هذا المجال، هو الذي صدر عن مجلس وزراء الإسرائيلي بشأن مصادرة الأراضي بحجة تطوير الجليل، وبعد أن زادت نسبة سكان العرب فيه عن ٥٠٪.

مقدّمات الأحداث: من حيفا ثُمّ الناصرة

تحرّك فلسطينيو الجليل، بعد أن أدركوا هدف القرار ففي ١٩٧٥/٧/٢٩ عُقد اجتماع للتشاور في حيفا، حضره عدد من المبادرين لحملة الاحتجاج على مصادرة الأراضي، وقد ضمَّ هذا الاجتماع عددًا من رؤساء المجالس المحلية، ومحامين، وأطباء، ومثقفين وصحفيين، وأصحاب أراضٍ، وتقرَّر في هذا الاجتماع، تأليف لجنة للدفاع عن الأرض سُمّيت باللجنة القُطرية للدفاع عن الأراضي.

قبل الإعلان النهائي عن قرار المصادرة واحتجاجًا على سياسات المصادرة أُعلِن بإجماع حاشد دعا له الحزب الشيوعي الفلسطيني بالداخل في الناصرة في ١٩٧٥/٨/١٥ عن تأسيس "لجنة الدفاع عن الأراضي العربية"، وترأّس اللجنة القس الوطني شحادة شحادة، وقادت اللجنة عملية الدفاع عن الأراضي لسنوات طوال.

وفي الاجتماع اتخذ عدد من المقررات، كان من أبرزها: الدعوة لعقد مؤتمر شعبي للمطالبة بوقف المصادرة، وإصدار نداء إلى الرأي العام لحثه على مقاومة المصادرة.

وفي اجتماع بلدة سخنين في ١٩٧٦/٢/١٤ ظهرت جاهزية الناس للمواجهة إذ شارك ٥٠٠٠ شخص يتقدّمهم النائبان في (الكنيست) توفيق زياد وتوفيق طوبي.

لجنة الدفاع عن الأراضي دعت لاجتماع آخر في الناصرة يوم ١٩٧٦/٣/٦ شارك فيه نحو عشرين رئيسًا من رؤساء المجالس المحلية، واتّخذ المجتمعون قرارًا بإعلان الإضراب العام يوم ١٩٧٦/٣/٣٠ استنكارًا لمصادرة الأراضي.

عقدت السلطة الإسرائيلية في مدينة شفا عمرو اجتماعًا مع الفلسطينيين الذين كان غالبهم من المتعاونين معها من رؤساء السلطات المحلية العرب لمحاولة إجهاض الإضراب، وهنا ظهر دور توفيق زياد (الذي انتُخِب رئيسًا لبلدية الناصرة) الذي صرخ: (الشعب صاحب القرار، والشعب قرّر الإضراب)، ولم يكن لوحده آنذاك إذ كان معه عشرات القيادات العربية الثائرة.

كان تحديد يوم الإضراب ثمرة تصاعد النضال الوطني في الجليل وبلوغه مستوى كبير من التنظيم، فقبل ذلك ومنذ النكبة كانت مقاومة عرب الـ٤٨ قاصرة على الدفاع "السلبي" بالتمسك بالأرض، والبقاء عليها، والتكافل فيما بينهم، ورفض محاولات التفرقة بين صفوفهم وانتظار الظروف المناسبة للهجوم، وإعداد الجيل الجديد من أبنائهم لتلك اللحظات.

مواجهات الأرض من عرابة إلى كل الجليل

قرار الدعوة إلى إضراب عام لفلسطينيي الـ٤٨، هو أول قرار من نوعه منذ النكبة، وبدأت الجماهير تُحضّر لذلك اليوم التاريخي، واستجابت كل التجمعات العربية في الجليل للإضراب، رغم محاولات (إسرائيل) إفشال هذا اليوم وبأي ثمن.

ففي مساء ١٩٧٦/٣/٢٩ داهمت قوات الشرطة، وحرس الحدود قرية عرّابة وأخذت تستفز الفلسطينيين بالضرب وإطلاق النار، وقد اشتبكت مع الأهالي واستشهد نتيجة ذلك أحد الفلسطينيين ويُدعى خير أحمد ياسين وكان أول شهداء يوم الأرض.

وفي اليوم الثاني أي يوم ١٩٧٦/٣/٣٠ أصدرت الشرطة أمرًا بمنع التجوال لمدة ٢٤ ساعة في قُرى الجليل والمثلث، وتفرّقت سيارات الشرطة في القرية وأخذت تُنبّه الأهالي، وتُهدّد من يُحاول الخروج من منزله، ولكن التهديدات لم تُثنِ الفلسطينيين عن التعبير عن سخطهم وحقدهم، وخرج الشعب إلى الشوارع، واشتبك الجيش مع

الأهالي في معركة لم يسبق لها مثيل.

لم تكن هذه المعركة هي الوحيدة في ذلك اليوم، فقد عمّت المظاهرات جميع قُرى ومدن الجليل، واشتبك الشعب مع قوات الشرطة والجيش التي حاولت تفريق المتظاهرين واستعملت في ذلك مختلف الأساليب.

ففي قرية سخنين، زعمت قوات الاحتلال الصهيونية أنَّ الأهالي خرقوا نظام منع التجوال وهاجموا قوات الشرطة التي اضطرت بزعمها إلى استعمال القوة، وإطلاق النار الذي أدى إلى استشهاد ثلاثة من أهالي القرية هم خديجة شواهنة ورجا أبو ريا وخضر خلايلة، وجُرح أثناء الاشتباك نحو خمسين شخصًا، واعتُقل نحو سبعين شخصًا آخرين.

أما في قرية كفر كنا، فقد حاولت الشرطة استفزاز المتظاهرين، بإطلاق النار عليهم، وإلقاء القنابل المسيلة للدموع لتفريقهم، واستعمال الهراوات واقتحام البيوت والاعتداء على النساء والأطفال، واستُشهد شاب يدعى محسن طه وجُرح آخرون، واعتقلت الشرطة عشرات الشبان.

وفي قرية الطيبة، حاولت قوات الشرطة تفريق المتظاهرين بالهراوات والقنابل، وأخذت تطلق النار على الفلسطينيين بدون تمييز وسقط الشهيد "رأفت علي زهدي"، والذي جاء من قرية نور الشمس ليُشارك في الإضراب في قرية الطيبة، وقامت الشرطة بعد ذلك بحملة اعتقالات واسعة.

أما في الناصرة فقد شمل الإضراب ٨٠٪ من المدينة، وانتهزت قوات الاحتلال الصهيونية فرصة الإضراب للاعتداء على رئيس بلديتها، فداهمت منزله بحجة ملاحقة بعض الفتيان الذين رجموا قوات الأمن بالحجارة والزجاج وقنابل المولوتوف، واعتدت بالضرب على زوجته وابنته.

وتدافع الشباب في المدينة إلى المستشفيات للتبرع بالدم لعشرات الجرحى، الذين نُقلوا من القُرى العربية إثر الاشتباكات.

وفي طمرة حوّلت الشرطة ساحة البلدة إلى ساحة حرب استخدمت فيها المجنزرات والسيارات العسكرية، وقد تعرّضت القرية لاعتداءين من قِبل رجال الشرطة، وشوهدت بعض السيارات المحترقة عند مدخل القرية، واعتصم عدد من الفلسطينيين في المجلس المحلي احتجاجًا على تصرف رئيس المجلس الذي استدعى قوات الاحتلال لتفريق المتظاهرين.

وفي دير حنا استُشهد أحد الفلسطينيين، وأُصيب عدد آخر بجراح وأعلن الإسرائيليون أنَّ ٣٨ جنديًا صهيونيًا قد أُصيبوا بجراح، وأن ست سيارات عسكرية قد أُحرقت.

وقد شكّلت عملية تهويد الجليل -وما تزال- هدفًا من أهداف الحركة الصهيونية وهاجسها، فقد حدَّد بن غوريون هذا الهدف بقوله: "الاستيطان نفسه هو الذي يُقرر إذا كان علينا أن نُدافع عن الجليل أم لا"

وفي بلدة الطيرة حاول رئيس المجلس المحلي طارق عبد الحي تفريق المظاهرة فتصدى له الأهالي، واستدعى رجال الشرطة، التي هُرعت بالمئات وانهالت على الفلسطينيين بالضرب وأطلقت عليهم النار، ممَّا أدى إلى إصابة بعض الشبان، واعتقال نحو ٤٠ شخصًا.

وفي باقة الغربية، خرج الأهالي إلى شوارع القرية

قرار الدعوة إلى إضراب عام لفلسطينيي الـ٤٨، هو أول قرار من نوعه منذ النكبة، وبدأت الجماهير تُحضّر لذلك اليوم التاريخي، واستجابت كل التجمعات العربية في الجليل للإضراب، رغم محاولات (إسرائيل) إفشال هذا اليوم وبأي ثمن

في تظاهرة كبيرة متحدية قوات الشرطة، التي كانت تتجول في شوارع القرية منذ يوم ٣/٢٩ والتي قامت بدورها باعتقال عدد من الشبان.

وفي قرية كسرى، تصدى الأهالي لجرافات الاحتلال التي كانت تحميها قوات من الشرطة بهدف مصادرة الأراضي، وقد منعوا الجرافات من دخول القرية، وأقسم الجميع على التمسك بالأرض ومقاومة أي مصادرة جديدة.

وفي كفر قاسم أضربت المتاجر والمدارس وتجمهر نحو ألف شاب في ساحة المجلس المحلي، وهتفوا هتافات وطنية، ثم ساروا في مسيرة صاخبة إلى الأسلاك الشائكة التي أقامتها إدارة أراضي "إسرائيل" حول أراضيهم المصادرة واقتلعوها فاعتقلت الشرطة بعض الفلسطينيين، وفرقت المظاهر بالقوة.

وفي قلنسوة وضع المتظاهرون حواجز في الطرق، وأحرقوا إطارات السيارات وكان الإضراب عامًا، وتدخلت قوة من الشرطة وحرس الحدود لتفريق المظاهرة وإزالة الحواجز.

وأضربت قرية الرامة عن بكرة أبيها معلنة سخطها، وتجمعت الجماهير أمام كنيسة الأرثوذكس لتُعلن استنكارها لجرائم القتل الوحشية ومصادرة الأراضي.

وفي قرية نحف داهمت قوات كبيرة من قوات الأمن القرية، وبدأت تضرب البيوت بالقنابل المسيلة للدموع، وتعتدي على الفلسطينيين ونفّذت حملة تفتيش واسعة، واعتقلت بعض الشباب.

وفي مجد الكروم وبالرغم من معارضة رئيس المجلس المحلي، سارت تظاهرة كبيرة اخترقت شوارع البلدة، وتوجّهت إلى الجامع حيث قرأت الفاتحة لأرواح شهداء الأرض، ثُمّ توجهوا إلى المجلس المحلي وطالبوا باستنكار المذابح الوحشية ومصادرة الأراضي؛ كما أضربت كل من قرى دير الأسد والبعنة وأبو سنان وكفر ياسيف وشفا عمرو وعبلين وكابول.

لقد تحوّل يوم الأرض منذ العام ١٩٧٦ إلى يوم تاريخي خالد، وتحوّل إلى يوم عالمي بحيث إنه في كل ٣٠ آذار تنطلق التظاهرات في الداخل الفلسطيني وفي الخارج محوّلة يوم ٣٠ آذار إلى يوم للاحتجاج الفلسطيني في كل بقعة من بقاع هذا العالم، وتبنته عشرات الجمعيات والمؤسسات والجاليات، وعلى صعيد فلسطيني الداخل ما زالت التظاهرات الجبارة واحتفالات إحياء الذكرى السنوية تخرج كل عام في عدة مناطق.

وبات يوم الأرض يومًا لتجسيد معاني الصمود والثبات والمقاومة، والتشبّث بحقنا في فلسطين، وأراضينا، وفي العودة للاجئين الفلسطينيين من مخيّمات الشتات التي أُريد لها أن تكون بديلا لأراضيهم، وديارهم التي هجّروا منها بفعل العدوان الإسرائيلي الذي خلف (النكبة) في عام ١٩٤٨، إذ لا بديل عن العودة إلى وطننا فلسطين.

قراءة قانونية :

هضبة الجولان أرض عربية سورية محتلة

بقلم: أ.د.حنا عيسى

هل قانون الغاب هو الذي أصبح يحكم العلاقات بين الدول ؟

هل هضبة الجولان كانت يوما ما لغير الجمهورية العربية السورية ؟

هل مطالبة اسرائيل من واشنطن الاعتراف بسيادتها على هضبة الجولان يخضع لمبادئ القانون الدولي وقواعد العدالة ؟

هل تصريح الرئيس ترامب بأنه آن الأوان لتعترف أمريكا بسيادة اسرائيل على الجولان؟

(قال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب: إنه قد حان الوقت للولايات المتحدة للاعتراف الكامل بسيادة إسرائيل على هضبة الجولان، معتبرا أن ذلك مهم لأمن إسرائيل واستقرار المنطقة.

وكتب ترامب، في تغريدة عبر حسابه على تويتر، أنه "بعد ٥٢ سنة، حان الوقت للولايات المتحدة للاعتراف الكامل بسيادة إسرائيل على هضبة الجولان، التي تتسم بأهمية استراتيجية وأمنية بالغة الأهمية لدولة إسرائيل والاستقرار الإقليمي".

الجولان هي هضبة تقع في بلاد الشام بين نهر اليرموك من الجنوب وجبل الشيخ من الشمال. تقع الهضبة بكاملها ضمن حدود سورية، ولكن في حرب ١٩٦٧ احتل الجيش الإسرائيلي ثلثين من مساحتها البالغة ١٨٦٠كم مربع، حيث تسيطر إسرائيل على هذا الجزء من الهضبة في ظل مطالبة سورية وعربية ودولية بإعادتها إليها ويسمى الجولان أحيانا باسم الهضبة السورية.

وكذلك أقر الكنيست الإسرائيلي بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٤ قانون تطبيق القانون الإسرائيلي على الجولان المحتل واعتبار سكانه مواطنين اسرائيليين، وسمي القانون آنذاك بقانون الجولان، الذي رفضته الأمم المتحدة واعتبرته قانوناً غير شرعي وأصدرت قرار رقم ٤٩٧ بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٧ والذي يدين تطبيق القوانين الإسرائيلية على الجولان المحتل ويعتبر القرار الإسرائيلي لاغيا كأنه لم يكن..

حيث اقر مجلس الامن الدولي في جميع قراراته أن الاستيلاء على الأراضي بالقوة غير مقبول بموجب ميثاق هيئة الأمم المتحدة واعتبر قرار إسرائيل لاغيًا وباطلا من دون فعالية قانونية على الصعيد الدولي، وطالبها باعتبارها قوة محتلة، أن تلغي قرارها فورا.

وعلى اعتبار أن الجولان السوري محتل فانه ينطبق عليه أحكام القانون الدولي الإنساني ممثلا بأنظمة لاهاي لسنة ١٩٠٧ واتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩ بشان حماية السكان المدنيين في وقت الحرب. وان حالة الحرب أو الاحتلال لا تعفيان الدولة المحتلة من مسؤوليتها في احترام حقوق الإنسان في الأراضي التي تحتلها خصوصا لو كانت تلك الدولة المحتلة طرفا في اتفاقيات العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسنة ١٩٦٦ والعهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية و المدنية لسنة ١٩٦٦ وبالتالي إسرائيل ملزمة باحترام ما ورد فيهما حيث أنهما يؤكدان حق الشعوب في تقرير مصيرها والسيطرة على مواردها والحقوق الإنسانية الأخرى.

وبما أن الجولان السوري هو ارض محتلة، وإسرائيل هي دولة احتلال فان إسرائيل ملزمة بتطبيق مبادئ القانون الدولي الإنساني لدى إدارتها لهضبة الجولان السورية.

وعلى ضوء ما ذكر اعلاه فالمطلوب من إسرائيل هو الالتزام بقرارات الشرعية الدولية، وبالأخص قرارا مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨، اللذان يطالبان بسحب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧، ومن بينها الجولان السوري المحتل، وعلى جميع الأطراف وخاصة الطرف الإسرائيلي الالتزام بقرارات الشرعية الدولية التي تضمن استعادة جميع الحقوق المشروعة والأراضي المحتلة إلى أصحابها الشرعيين وفي طليعتها الأراضي الفلسطينية المحتلة ومرتفعات الجولان ومزارع شبعا من دون قيد أو شرط.

ان عدم التزام إسرائيل بقرارات الشرعية الدولية يتطلب من المجتمع الدولي السعي لتفعيل اختصاص الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في إطار"الاتحاد من اجل السلم"، واتخاذ العقوبات اللازمة ضد إسرائيل تنفيذا للفصل السابع من ميثاق هيئة الأمم المتحدة لعدم التزامها بقرارات الشرعية الدولية الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي.

الشهيد البطل

عمر أمين ابو ليلى

امتطى صهوة الحرية ومضى..

إلى قلوبنا

التحية للمرأة في يومها
للأمهات والأسيرات والكادحات والصابرات.